علم قواعد التفسير

مبادئه – نشأته - تطوره

إعداد الدكتور/

محمود خليفة محمود حفناوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم أصول الدين

كلية العلوم الإسلامية الأزهرية للطلاب الوافدين بالقاهرة

قواعد التفسير – مبادئه – نشأته –تطوره

محمود خليفة محمود حفناوي

قسم أصول الدين .كلية العلوم الإسلامية الأزهرية للطلاب الوافدين بالقاهرة. جامعة الأزهر . مصر.

البريد الإلكتروني: dr.m.alhefnawy@gmail.com

الملخص:

اتسعت دائرة علوم القرآن الكريم حتى قاربت المائة علم، وكان من أهم هذه العلوم علم قواعد التفسير، والذي كانت نشأته كعلم من علوم القرآن الكريم متأخرة عن سائر العلوم القرآنية. فلم ينل هذا العلم من علوم القرآن حظه من التأليف وخاصة من المؤلفات التي تحمل الطابع الأزهري، ومن ثم جاءت هذه الدراسة التي تتحدث عن أصول علم قواعد التفسير بذكر مبادئه العشرة والتعرض لنشأته من لدن عصر النبوة الصافية وتطوره عبر الأزمنة المتعاقبة.وقد تكون هذا البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة، اشتملت المقدمة على البسملة والحمدلة والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسبب اختيار الموضوع وخطته، والفصل الأول وعنوانه(مبادئ علم قواعد التفسير) واشتمل على المبادئ العشرة لهذا العلم من الحد إلى المسائل، والفصل الثاني وعنوانه (نشأة علم قواعد التفسير وتطوره) واشتمل على الكلام على نشأة هذا العلم وأول من ألف فيه وتطوره عبر مراحل خمسة مر بها، ثم جاءت الخاتمة واشتملت على أهم النتائج والتوصيات التي بانت من خلال البحث ثم ذيل البحث

بفهرس للمراجع والمصادر التي استقى منها مادته العلمية وفهرس لموضوعاته .

المنهج: اتبعت في هذا البحث المنهج التكاملي(الاستقرائي- التحليلي – النقدي – المقارن)

النتائج:يعد علم قواعد التفسير علما مستقلا من علوم القرآن الكريم – يعد أول من ألف في هذا العلم هو الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه الرسالة- كان أول ظهور لعلم قواعد التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم حيث كانوا يستبطنونه في كلامهم عند التعرض لآيات القرآن الكريم – تناثرت مسائل علم قواعد التفسير في كتب علوم القرآن الكريم ثم تمايزت عنها متأخرا- يعبرعن قواعد التفسير بأصول التفسير – مر علم قواعد التفسير بمراحل خمسة في تاريخه- تنتمي بعض كتب قواعد التفسير إلى المنهج الوهابي مما يدعو إلى التنبه من دس بعض العقائد في طيات هذه الكتب.

التوصيات: ضرورة عكوف جمع من الأزهريين على استقراء كتب التفسيروكتب اللغة وكتب الأصول لاستخراج قواعد التفسير من منطلق منضبط بقواعد المنهج الأزهري – ضرورة استحداث مقرر دراسي يدرس في أقسام التفسير وعلوم القرآن على مستوى الجامعة الأزهرية في مرحلة الإجازة العالية ومرحلة الدراسات العليا يحمل اسم قواعد التفسير- ضرورة إعداد رسائل وبحوث جامعية في علم قواعد التفسير.

الكلمات المفتاحية: قواعد –أصول – التفسير – مبادئ – نشأة- تطور.

The rules of interpretation - its principles - its origin - its development

Mahmoud Khalifa Mahmoud Hafnawi

Department of Religion Origins. Al-Azhar University. Egypt.

E-mail: dr.m.alhefnawy@gmail.com

Abstract:

The circle of Qur'anic sciences expanded to nearly 100 sciences, one of the most important of which was the science of the rules of interpretation, which originated as a science of the Qur'an late in other Qur'anic sciences. This study, which talks about the origins of the rules of interpretation, did not get its luck from the qur'an sciences, especially from the literature of the Azhari character, and then this study, which talks about the origins of the rules of interpretation, mentioned its ten principles and exposure to its origin from the era of pure prophecy and its evolution through successive times. The first, entitled "Principles of The Rules of Interpretation", included the ten principles of this science from limit to issues, and the second chapter entitled "The genesis of the science of the rules of interpretation and its evolution", and included the speech on the genesis of this science and the first of a thousand in it and its evolution through the five stages passed by it, and then came the conclusion and included the most important results and recommendations that were made through research and then the tail of the research with an index of references and sources from which he derived his scientific material and index of his subjects.

Method: The integrative approach was followed in this research (inductive, analytical, critical, comparative)

Results: The science of the rules of interpretation is an independent science of the Qur'an — the first of a thousand in this science is Imam Shafi'i, may God rest his soul in his book The Message, which was the first appearance of the science of the rules of interpretation in the era of the Sahaba, may God bless them, where they were inferring it in their words when exposed to the verses of the Holy Quran. The questions of the science of the rules of interpretation were scattered in the books of the sciences of the Qur'an and then distinguished from them late - expressing the rules of interpretation with the origins of interpretation - the science of the rules of interpretation passed five stages in its history - some of the books of the rules of interpretation belong to the Wahhabi curriculum, which calls for caution from the tucking of certain doctrines in the folds of these books.

Recommendations: The need to gather from al-Azharis to extrapolate the books of interpretation, the books of the language and the books of origins to extract the rules of interpretation from the basis of the rules of the Al-Azhar curriculum - the need to develop a course that will study in the departments of interpretation and the sciences of the Qur'an at the level of the University of Al-Azhar at the high leave and graduate stage bearing the name of the rules of interpretation - the need to prepare letters and university research in the science of the rules of interpretation.

Keywords: Rules, Origins, Interpretation, Principles, Genesis, Evolution.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، ورحمة الله تعالى للعالمين، نبي الله ورسوله الخاتم- صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين- وبعد،،،

فإن الله تعالى أنزل كتابه الكريم ليعمل به، حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وتكفل سبحانه وتعالى بحفظه من دون كتبه، فقال تعالى" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" ومن تمام حفظه أن قيض الله تعالى له رجالا يتلونه حق تلاوته، ويقومون به حق قيام، عكفوا على دراسته ومدارسته، وتناولوه بالبحث والتعقل فأنتجوا علوما شتى، فرؤي منهم من كتب في مكيه ومدنيه، ومن كتب في عامه وخاصه، ومن كتب في محكمه ومتشابهه، ومن كتب في مطلقه ومقيده، ومن كتب في إعجازه ...إلخ هذا التراث الهائل الذي نشأ على ضفافه، فنتج من هذا كله ما يسمى بعلوم القرآن الكريم.

ثم رؤي من استعمل هذه العلوم الجمة في فهم مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فتحقق له فهم عن كتابه، ووعي عن نبيه صلى الله عليه وسلم، فنشأ من هذا مؤلفات تناولته آية آية، وكلمة كلمة، وكان هذا هو تفسيره.

فاكتمل بهذين الركنين أدوات المفسر والتفسير حيث قامت علوم القرآن أدوات للمفسر، وقام التفسير نتاجا علميا على ضوابط وأسس وقواعد معتبرة.

ولما كانت علوم القرآن الكريم من السعة بمكان، ولم تكن كلها صالحة للصياغة في قوالب كلية يمكن استعمالها ضوابط للتفسير، وإنما تحقق هذا في كثير منها فقط، نشأ عن هذا علم قواعد التفسير، والذي هو لعلم التفسير بمثابة الضابط والقاعدة لما ينتج من فهم في كتاب الله تعالى، والذي هو لعلوم القرآن بمثابة قواعد الفقه لأصوله.

لكن هذا العلم الذي نحن بصدد الحديث عنه كانت نشأته كفن مستقل متأخرة عن سائر علوم القرآن كلها، فلم ير في التراث الإسلامي إلا قليلا ممن تناوله بالكتابة والتأليف، وهو من الأهمية بمكان، لذلك كله عقدت العزم على تناول هذا العلم الجليل من علوم القرآن بالدراسة في مبادئه ونشأته وتطوره، فجاء عنوان بحثي هذا " عم قواعد التفسير مبادئه – نشأته – تطوره.

أسباب اختيار الموضوع

أما عن الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع لهذا البحث فهي :

- الوقوف على مبادئ علم قواعد التفسير.
- إرساء دعائم هذا العلم حتى يستقر في علوم القرآن الكريم مع باقي علومه.
- الوقوف على مكانة علم قواعد التفسير من علوم القرآن الكريم وتنسيبه إلى علوم القرآن.
- تحرير الفرق بين قواعد التفسير وعلوم القرآن والتفسير وأصول التفسير.

- الوقوف على علاقة علم قواعد التفسير بقواعد الأصول لما لعلم التفسير من أهمية لا تقل بحال عن علم الأصول.
- حاجة المتخصصين إلى معالجة الإشكالات الواردة حول علم قواعد التفسير.

أما عن الخطة التي سرت عليها في التوصل إلى مقصودي من هذا البحث فجاءت في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

المقدمة واشتملت على البسملة والحمدلة والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأسباب اختياري للموضوع، وخطتي في التوصل إلى مقصودي منه.

ثم الفصل الأول بعنوان: مبادئ علم قواعد التفسير وفيه عشرة مطالب:

المبحث الأول: في حده

المبحث الثاني : في موضوعه

المبحث الثالث: في ثمرته

المبحث الرابع: في فضله

المبحث الخامس: في نسبته

المبحث السادس: في واضعه

المبحث السابع: في اسمه

المبحث الثامن: في استمداده

المبحث التاسع: في حكمه

المبحث العاشر: في مسائله

ثم الفصل الثاني بعنوان: نشأة علم قواعد التفسير وتطوره، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في نشأة علم قواعد التفسير

المبحث الثاني: في تطور هذا العلم

ثم الخاتمة وتناولت فيها أهم النتائج والتوصيات التي بانت لي من خـــلال معايشتي لهذا البحث.

ثم ذيلت البحث بفهرس المصادر والمراجع التي استقى منها البحث مادته العلمية وفهرس لموضوعاته.

الفصل الأول

مبادئ علم قواعد التفسير

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: في حده

المبحث الثاني : في موضوعه

المبحث الثالث: في ثمرته

المبحث الرابع: في فضله

المبحث الخامس: في نسبته

المبحث السادس: في واضعه

المبحث السابع: في اسمه

المبحث الثامن: في استمداده

المبحث التاسع: في حكمه

المبحث العاشر: في مسائله

تمهيد بين يدي الفصل

يعنى هذا الفصل بمبادئ علم قواعد التفسير، والتي هي بمثابة التصـــور الكلي للعلم حيث يتناول تعريفه، وموضوعه، وثمرته، وفضله، ونسبته ... إلخ

وقد عني العلماء قديما بهذا في كل العلوم فأسموا هذه المقـــدمات مبـــادئ العلم.

قال الصبان في حاشيته على شرح السلم للملوي:

إن مبادئ كل فن عشرة... الحد والموضوع ثم الثمرة

فضله نسبة والواضع... الاسم الاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض بالبعض اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرفا

وفي الصفحات التالية سرد لهذه المقدمات العشرة لهذا العلم الجليل، فـــالله تعالى المستعان.

المبحث الأول: في حد علم قواعد التفسير

في واقع الأمر هذا المصطلح المسمى بعلم قواعد التفسير مركب إضافي، لا يتوصل إلى تعريفه إلا بفك طرفيه، ثم تعريف كل منهما على حدة، ثم تعريفه مركبا إضافيا علما على هذا العلم.

لهذا يأتي تعريف كلمة قواعد، ثم تعريف كلمة تفسير، وكلاهما في اللغة والاصطلاح.

أولا: تعريف كلمة (قواعد)لغة

قال الراغب الأصفهاني: قواعد البناء أساسه، قال الله تعالى " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل"وقواعد الهودج: خشباته الجارية مجرى قواعد البناء[١]

وقال الرازي: القواعد جمع قاعدة، وقواعد البيت أساسه[٢].

قال ابن منظور: القاعدة أصل الأس، والقواعد الأساس، وقواعد البيت أساسه، وفي التنزيل

" وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل"وفيه " فأتى الله بنيانهم من القواعد"

١- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت٥٠٢هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بدون، ص٤٠٩.

٢- مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٩٣، ص٢٢٧ ،مادة قعد.

قال الزجاج: القواعد أساطين البناء التي تعمده، وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضة في أسفله تركب عيدان الهودج فيها.

قال أبو عبيدة: قواعد السحاب أصولها المعترضة في آفاق السماء، شبهت بقواعد البناء، ويقال: قعدت المرأة عن الحيض والولد، تقعد قعودا، وهي قاعد انقطع عنها، والجمع قواعد وفي التنزيل" والقواعد من النساء" قال الزجاج في تفسير هذه الآية: هن اللواتي قعدن عن الأزواج، وقال ابن السكيت: امرأة قاعد إذا قعدت عن المحيض فإذا أردت القعود قلت قاعدة[1].

مما جملة ما سبق نستطيع أن نقول: إن القاعدة في اللغة تقوم على الأصل والأساس الذي يبني عليه غيره، فهي من الثبوت والاستقرار ما يؤهل غيرها من القيام والارتكاز عليها.

ثانيا: تعريف كلمة القواعد اصطلاحا

تناول العلماء كلمة القاعدة بالتعريف الاصطلاحي ودارت تعريفاتهم في فلك قريب، وفي السطور الآتية سرد لتعريفات العلماء للقاعدة:

قال الطوفي: والقواعد جمع، وهي أساس البناء، وفي اصطلاح العلماء حيث يقولون" قاعدة هذه المسألة" و"القاعدة في هذا الباب كذا" : فهم يقصدون القضايا الكلية التي تعرف بالنظر فيها قواعد جزئية كقولنا مثلا :

---

[1]- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت٧١١هـ، ط دار المعارف، تحقيق: عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي، ٣٦٨٩/٤٢ وانظر: المعجم الوجيز، ط وزارة التربية والتعليم المصرية، ١٤١١ =١٩٩١، ص٥١٠

حقوق العقد تتعلق بالموكل دون الوكيل، وقولنا: الحيل في الشرع باطلة فكل واحدة من هاتين القضيتين تعرف بالنظر فيها قضايا متعددة[١].

وعرفها ابن نجيم الحنفي بقوله: حكم كلي منطبق على جميع جزئياته لتعرُّف أحكامها منها[٢].

قال ابن السبكي في الأشباه والنظائر: القاعدة الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها[٣].

وقال الجرجاني: القاعدة هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها[٤].

وقال أبو البقاء الكفوي: القاعدة اصطلاحا : قضية كلية من حيث اشتمالُها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها، وتسمى فروعا، واستخراجها منها تفريعا كقولنا: كل إجماع حق.

١- شرح مختصر الروضة لنجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم أبي سعيد الطوفي ت ٧١٦هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٠٧=١٩٨٧، ١/١٢٠

٢ – غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر لزين العابدين بن إبراهيم الشهير بابن نجيم الحنفي، شرح مولانا أحمد بن محمد الحنفي الحموي، ط دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٥= ١٩٨٥، ط١ ، ص٥١.

٣- الأشباه والنظائر للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ٧٧١هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤١١=١٩٩١، ص١١.

٤- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ت٨١٦هـ ، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط دار الريان للتراث، ١٤٠٣، ص٢١٩

والقاعدة هي الأساس وأصل لما فوقها، وهي تجمع فروعا من أبواب شتى، والضابط يجمع فروعا من باب واحد[١].

وعرفها التهانوي بقوله القاعدة بالعين المهملة هي في اصطلاح العلماء مرادف الأصل والقانون والمسألة والضابطة والمقصد، وعرفت بأنها أمر كلي منطبق على جميع جزئياته عند تعرف أحكامها منها[٢].

وعرفها أيضا ابن السبكي بالتعريف السابق، وأقره المحلي في شرحه على جمع الجوامع والعطار في حاشيته على شرح المحلي على هذا التعريف[٣].

لكن الدكتور محمد بكر إسماعيل بعد أن استعرض بعض التعريفات السابقة قال : وأستطيع أن أعرف القاعدة تعريفا أراه جامعا مانعا سهلا ميسرا فهمه على طلاب العلم فأقول: القاعدة قول موجز بليغ في قضية كلية تندرج تحتها أكثر الجزئيات يتعرف من خلالها على أحكام ما لا ينحصر منها[٤].

١- الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ت١٠٩٤، تحقيق:عدنان درويش، محمد المصري، ط مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٣٣= ٢٠١٢، ص٦١٣.

٢- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد علي التهانوي، إشراف: د. رفيق العظم، ط مكتبة لبنان، ١٩٩٦، ص ١٢٩٥.

٣- حاشية الشيخ حسن العطار على شرح الإمام جلال الدين المحلي على جمع الجوامع لابن السبكي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون، ص٣١.

٤- القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه للدكتور محمد بكر إسماعيل ،ط دار المنار، ط١ ١٤١٧=١٩٩٧ ، ص٦

ثالثا: تعريف التفسير لغة

التفسير في اللغة راجع إلى معنى الإظهار والكشف سواء أكان هذا الإظهار حسيا أو معنويا فهو يجري في المحسوس كما يجري في المعنى، تقول: فسرت المرأة رأسها: أي كشفت عنها.

وهو مشتق من عدة معان على خلاف بين العلماء.

فجمع يقول: هو مشتق من التفسرة، وإلى هذا مال الزركشي والسيوطي.

قال الزركشي:وأصله في اللغة التفسرة، وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض، فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها ومعانيها، والسبب الذي أنزلت فيه، وكأنه تسمية بالمصدر لأن مصدر " فعل" جاء أيضا على تفعلة نحو: جرب تجربة، وكرم تكرمة [١].

وقال السيوطي: وقيل: هو مأخوذ من التفسرة، وهو اسم لما يعرف به الطبيب المرض [٢].

قال ابن الأنباري: قول العرب فسرت الدابة وفسرتها إذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها، وهو يؤول إلى الكشف أيضا، فالتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه، والكلام المحتبس عن الفهم به، ويقال فسرت الشيء أفسره تفسيرا، وفسرته أفسره فسرا، والمزيد من الفعلين أكثر في

١- البرهان في علوم القرآن لبدرالدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت٧٩٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار التراث ، ط٣ ، ١٤٠٤ =١٩٨٤، ١٤٧/٢

٢- التحبير في علوم التفسير لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ ، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ =١٩٨٨، ص١٥

الاستعمال، وبالمعنى الثاني منها سمى أبو الفتح ابن جني كتبه الشارحة الفسر[1].

قال الألوسي: والتفسير تفعيل من الفسر وهو لغة البيان والكشف،... ويطلق على التعرية للانطلاق، يقال فسرت الفرس إذا عريته لينطلق، ولعله يرجع لمعنى الكشف كما لا يخفى، بل كل تصاريف حروفه لا تخلو عن ذلك كما هو ظاهر لمن أمعن النظر[2].

وبعضهم يقول: هو مشتق من مقلوب السفر، ومعناه أيضا الكشف والبيان، يقال سفرت المرأة سفورا إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح أضاء، وسافر فلان، وإنما بنوه على التفعيل لأنه للتكثير، كقوله تعالى" يذبح أبناءكم" ،" وغلقت الأبواب"، فكأنه يتبع سورة بعد سورة وآية بعد آية.

قال ابن عباس: في قوله تعالى" وأحسن تفسيرا" أي تفضيلا.

وقال الراغب : السفر والفسر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعني المعقول، وعنه قيل: لما ينبئ عنه البول تفسرة،

١- انظر البرهان ١٤٧/٢، والتحبير ص١٥

٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود شكري الألوسي البغدادي ت١٢٧٠ ، ط دار إحياء التراث العربي، بدون، ٤/١

وسمي به قارورة الماء، وجعل أسفر لإظهار الأعيان للأبصار، فقيل سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح[١].

لكن ضعف الألوسي هذا القول في مقدمة تفسيره[٢].

وبعضهم قال: هو تفعيل من فسرت النورة إذا نضحت عليها الماء لينحل أواخرها وينفصل بعضها عن بعض، وكأن التفسير يفصل أجزاء معنى المفسر بعضها عن بعض حتى يتأتى فهمه والانتفاع به، كما أن النورة لا يتهيأ الانتفاع بها إلا بتفصيل أجزائها بتفسيرها[٣].

تعريف التفسير اصطلاحا

قال الذهبي في التفسير والمفسرون: يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكفي في إيضاح التفسير أنه بيان كلام الله تعالى، أو أنه المبين لألفاظ القرآن الكريم ومفهوماتها.

١- انظر البرهان ١٤٧/٢، التحبير١٥، الإتقان في علوم القرآن لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١ه، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٢٦١/٦

٢- روح المعاني ٤/١

٣- الإكسير في قواعد التفسير للعلامة سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري الطوفي ت٧١٦، تحقيق: د. عبد القادر حسين، ط مكتبة الآداب ١٩٧٧، ص٢٨

ويرى بعض آخر منهم أن التفسير من قبيل المسائل الجزئية، أو القواعد الكلية، أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد، فيتكلف له التعريف، فيذكر في ذلك علوما أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن الكريم كاللغة والصرف والنحو والقراءات وغير ذلك[1].

ومن هنا وقع الخلاف بين العلماء في تعريف التفسير على عبارات ذكرها السيوطي في التحبير والإتقان والزركشي في البرهان والكافيجي في التيسير وغيرهم من العلماء

قال السيوطي:أما في الاصطلاح فلهم فيه عبارات أحسنها قول أبي حيان:

هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها وقت التركيب وتتمات لذلك.

وقال: هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن العزيز من حيث دلالته على مراد الله تعالى بحسب الطاقة البشرية.

وقال بعضهم: التفسير كشف معاني القرآن وبيان المراد منه سواء كانت معاني لغوية أو شرعية بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعونة المقام.

وقال قوم:التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا.

---

[1]-التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، ط مكتبة وهبة، ط٨ ١٤٢٤=٢٠٠٣م ، ١٢/١

وقال الماتريدي: التفسير القطع على المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي المنهي عنه[١].

وقال الزركشي: وفي الاصطلاح علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها.

وزاد قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها، وهذا الذي منع فيه القول بالرأي[٢].

وقال الزركشي في موضع آخر من برهانه في تعريف التفسير وهو الذي اختاره تعريفا:

التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والصرف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[٣].

١- التحبير للسيوطي ص١٥، ١٦، الإتقان ٢٢٦١/٦ ، وانظر في هذا مباحث في علوم القرآن لمناع خليل القطان ، ط مكتبة المعارف بالرياض، ط٣، ١٤٣٢=٢٠١١م، ص٣٣٤

٢- البرهان للزركشي١٤٧/٢

٣ - البرهان ١٣/١

قلت: قد تحصل مما سبق سبعة تعريفات أقربها إلى الإحكام جمعًا ومنعًا هو تعريف أبي حيان من حيث دلالته على المعرف مع وضع ضابط العجز البشري عن الإحاطة بمراد الله تعالى والذي نصه: علم يبحث فيه عن أحوال القرآن العزيز من حيث دلالته على مراد الله تعالى بحسب الطاقة البشرية.

قال محي الدين الكافيجي بعد سرده لأغلب التعريفات السابقة:

والتحقيق أن التفسير يستعمل تارة بمعنى القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله تعالى أنه عني باللفظ هذا، ولذلك لا يجوز إلا لصاحب الوحي ولمن شاهد التنزيل وعاين أسبابه، ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه مخطئًا وإذا أصاب، لأنه يشهد على الله تعالى بما لم يعلمه، وإن كان قوله مطابقًا لما عليه الأمر في نفسه، ولهذا كذب الله المنافقين في قولهم "نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون" ألا ترى أن الله تعالى قال "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" فشرط للشهادة العلم.

ويستعمل أخرى بمعنى الإخبار عن المراد من اللفظ لحصول غلبة الظن بالعرض على الأصول، فلذلك يجوز لمن حصل عنده العلوم التي يحتاج إليها التفسير [1].

---

[1]- التيسير في قواعد علم التفسير لمحي الدين محمد بن سليمان الكافيجي ٨٧٩، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، ط مكتبة القدسي، ط١، ١٤١٩= ١٩٩٨، ص٢١: ٢٦ بتصرف واختصار.

قلت: نخلص من كلام الكافيجي المتقدم أن التفسير قد يستعمل بمعنى القطع على مراد الله تعالى أنه عني من اللفظ كذا، وعلى هذا إن قام دليل معتبر فتفسير بالمأثور، وإن لم يقم دليل فتفسير بالرأي المنهي عنه، وقد يستعمل بمعنى فهم مراد الله تعالى لحصول غلبة الظن بالعرض على الأصول والرجوع إلى الأدوات والعلوم التي يحتاج إليها المفسر، وعلى هذا يكون تفسيرًا بالرأي المحمود. والله تعالى أعلم.

تعريف علم قواعد التفسير كفن مدون

والآن بعد أن وقفنا على تعريف علم قواعد التفسير بعد فك طرفي المركب، وتعريف كل طرف منهما على حدة لغة واصطلاحًا، يجدر أن نقف سويًا على تعريف قواعد التفسير لقبًا على هذا العلم المعني بهذا البحث هنا فأقول:

عرفه الدكتور خالد عثمان السبت بقوله: هو الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم، ومعرفة كيفية الاستفادة منها[1].

وعرفه فهد بن عبدالرحمن الرومي بقوله: "وقواعد التفسير هي الأحكام الكلية المنضبطة التي يتوصل بها إلى بيان معنى الآية أو ترجيح أحد الأقوال فيها.

ويظهر من هذا التعريف أن قواعد التفسير تنقسم إلى قسمين:

الأول: القواعد العامة في التفسير.

---

[1]- قواعد التفسير جمعًا ودراسة لخالد بن عثمان السبت، ط دار القلم، ط١، ١٤٣٤= ٢٠١٣ ص ٤٠

الثاني: قواعد الترجيح في التفسير.

والقواعد العامة في التفسير هي : الأحكام الكلية المنضبطة التي يتوصل بها إلى بيان معنى الآية.

وقواعد الترجيح: هي الأحكام الكلية المنضبطة التي يتوصل بها إلى ترجيح أحد الأقوال في تفسير الآية.

وهناك تداخل ظاهر في القواعد العامة وقواعد الترجيح، فكثير من القواعد العامة مرجحة[1].

وقد عرف الطيار القواعد العامة بقوله: القواعد التي يمكن أن يُعملها المفسر عندما يفسر آية من القرآن الكريم، ومن جملة هذه القواعد قولهم :

- ما أبهم في القرآن الكريم فلا فائدة في بحثه.
- إذا عرف تفسير القرآن من جهة النبي صلى الله عليه وسلم فلا حاجة إلى قول من بعده .
- إعراب القرآن ينبغي أن يكون على أوضح الوجوه ولا يفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام له به معنى ما[2].

---

[1]- أصول التفسير ومناهجه للدكتور فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، طبعة جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٣٤ = ٢٠١٣ ، ص١٦٠.

[2] – فصول في أصول التفسير لمساعد بن سليمان الطيار ، تقديم: محمد بن صالح الفوزان، ط١، ١٤٢٣= ١٩٩٣،ص٨٧: ٨٩

وعرف القواعد الترجيحية بقوله: القواعد التي نعملها عند الترجيح بين أقوال المفسرين ويكون استعمال هذه القواعد في حالتين:الأولى: ترجيح أحد الأقوال على غيره، الثانية: رد أحد الأقوال.

ثم مثل لهذه القواعد الترجيحية بقواعد أعملها الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره مثل:

- التأويل المجمع عليه أولى بتأويل القرآن.
- غير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطل لا دلالة على صحته[١].

الفرق بين علم قواعد التفسير وعلوم القرآن وعلم أصول التفسير

قبل أن نخوض في غمار التفرقة بين هذه المصطلحات الثلاثة نقدم بين يدي هذا بتعريف كل مصطلح على حدته فنقول:

عرف العلماء علوم القرآن بقولهم: العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن[٢].

---

١ – فصول في أصول التفسير للطيار ص٩٤، ٩٦

٢ – مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: أحمد بن علي، ط دار الحديث بالقاهرة،١٤٢٢=٢٠٠١،ص٢٤، مباحث في علوم القرآن لمناع خليل القطان، دا ر المعارف بالرياض،ط١٤٣٢،٣=٢٠١١،ص١٢

وعرف العلماء أصول التفسير بقولهم: الأسس والقواعد التي يعرف بها تفسير كلام الله تعالى ويرجع إليها عند الاختلاف فيه[١].

أما قواعد التفسير فهي الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن الكريم ومعرفة كيفية الاستفادة منها[٢].

والناظر في هذه التعريفات الثلاثة السابقة على جهة التفريق بينها يجد أن علوم القرآن الكريم وأصول التفسير تكاد عبارة العلماء فيهما تكون واحدة، فكل من علوم القرآن وأصول التفسير يجمع شتات العلوم والمباحث التي يقدم بها المفسر بين يدي تفسيره، ويعد كل منهما أساسا وقواعد لعملية التفسير، ولهذا وجد الكثير من العلماء ممن كتب في أصول التفسير ضمن مؤلفاته الكثير من المباحث المندرجة تحت علوم القرآن، وسيأتي مزيد من هذا عند الحديث عن قواعد التفسير في كتب أصول التفسير، ولهذا وجدنا الدكتور: مناع القطان يعبر بهذا التعبير إشارة منه إلى هذا الاشتباه بين علوم القرآن وقواعد التفسير فيقول:

وقد يسمى هذا العلم – علوم القرآن – بأصول التفسير لأنه يتناول المباحث التي لابد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن[٣].

لكن الناظر في تعريف علم قواعد التفسير يجد أنها بمثابة الجزء الذي يندرج تحت الكل، أو الخاص الذي يندرج تحت العام بالنسبة لسابقتيها من علوم القرآن وأصول التفسير.

---

١ – فصول في أصول التفسير للطيار ص١١

٢ – قواعد التفسير لخالد السبت ١/٤٠

٣ – مباحث في علوم القرآن ص١٢

فقواعد التفسير مستمدة بجملتها من علوم القرآن غير أنه لا يصلح أن تكون كل علوم القرآن قواعد للتفسير، فمنها ما يصلح أن يصاغ معنى كليا تندرج تحته جزئيات كثيرة، ومنها ما لا يكون على هذا الحال.

قال السبت: تعتبر قواعد التفسير جزءا من أشرف وأهم العلوم القرآنية، والنسبة بينهما هي نسبة الجزء إلى الكل.

هذا وتطلق قواعد التفسير على جملة علوم القرآن، وهذا إما أن يكون من باب إطلاق الجزء على الكل، وإما لكون علوم القرآن والكتب المصنفة في ذلك تشتمل على قواعد كثيرة من قواعد التفسير منثورة في أبوابه المختلفة[1].

المبحث الثاني: في موضوع علم قواعد التفسير

لكل علم من العلوم موضوع يبحث فيه هذا العلم وتعني مسائله به، وقد ذكر العلماء أن موضوع علم قواعد التفسير هو القرآن الكريم، لأن علم قواعد التفسير يبحث في القواعد والضوابط الكلية التي تعنى بالوصول إلى فهم مراد الله تعالى من القرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية.

وقيل إن موضوعه هو: التفسير وليس القرآن الكريم لأن علم القواعد يعنى بصياغة القواعد والضوابط التي ستعمل في تفسير كلام الله تعالى.

فلا غضاضة في أن يكون موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم نفسه، أو تفسيره فكل منهما يؤول إلى الآخر.

---

[1] – قواعد التفسير للسبت ١/٤٤

قال السبت: موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم، وإذا أردنا تحري الدقة فإننا نقول: موضوعه تفسير القرآن الكريم [1].

المبحث الثالث: ثمرة علم قواعد التفسير

من العلوم التي لم تنل حظا وافرا من البحث والتأليف حيث ذهل عنها العلماء على مر العصور السابقة، وقل واحد منهم أن يتكلم فيها علم قواعد التفسير، حتى ارتسمت في هذا العصر علمًا مستقلاً مؤهلًا للمفسر ومعينا له في استخراج معاني القرآن العزيز حسب طاقته البشرية.

ولأجل كون هذا العلم جليل القدر وعظيم النفع فقد تبدت ثمرته في الكثير من النقاط التي يمكن أن نجملها في الآتي:

-يعتبر علم قواعد التفسير بمثابة آلة يتمكن بها المفسر من استنباط وفهم معاني القرآن الكريم.

-يعين هذا العلم على ضبط التفسير بقواعده الصحيحة، والتي بها يستطيع الناظر أن يميز بين غثه وسمينه بين صحيحه ودخيله.

-يربي هذا العلم عند الباحث ملكة اختيار الأقوال المختلفة، والتمييز بين ما كان مختلفًا اختلاف تنوع، وما كان مختلفًا اختلاف تضاد، لأن القاعدة في هذه الحالة حاكمة على ما يعرض عليها من أمثال.

-يعين هذا العلم على فهم وبيان معاني كتاب الله تعالى ومعالجة قضاياه وحل مشكلاتها.

---

[1] قواعد التفسير جمعًا ودراسة ص ٥٠

-يعين هذا العلم على إثراء المفهوم للمعنى القرآني، لأنه بمعرفة قواعد التفسير تتفتح أبواب للفهم والاستنباط ربما كانت مغلقة لو لم تستعمل هذه القواعد.

-يعين هذا العلم على ضبط الأمور المنتثرة ونظمها في سلك واحد مما يمكِّن من إدراك الروابط بين الجزئيات المتفرقة.

-يعين هذا العلم على ضبط الفروع التفسيرية وإغناء العالم بالقواعد عن حفظ كثير من الجزئيات .

-يعين هذا العلم على فهم مناهج التفسير والاطلاع على حقيقة التفسير ومآخذه ومداركه.

- يعين هذا العلم على الوقوف على المعاني القرآنية التي لم ينص عليها المفسرون الأوائل.

-يعين هذا العلم على ضبط التفسير بضوابط صحيحة معتبرة كلية أو أغلبية تميز الدخيل والضعيف والموضوع وذلك بعد إعمال هذه القواعد التفسيرية.

-يقوم هذا العلم على إبراز الأصول الجامعة والقضايا الكلية التي تجمع في طياتها الكثير من الجزئيات والتفريعات الخاصة بعلوم القرآن الكريم، والتي تعين بدورها على اختصار الوقت والجهد وضبط الفهم بضوابط لا ينخرم عند مراعاتها تناول النص الحكيم بالتفسير والبيان.

ولذلك قال الزركشي رحمه الله: فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القواعد المتحدة هي أوعى لحفظها وأدعى لضبطها، وهي إحدى حكم

العدد التي وضع لأجلها، والحكيم إذا أراد التعليم لا بد أن يجمع بين بيانين: إجمالي تتشوف إليه النفس، وتفصيلي تسكن إليه[1].

قال السبت في فائدة هذا العلم: وفائدته المقدرة على استنباط معاني القرآن وفهمه على الوجه الصحيح وضبط التفسير بقواعده الصحيحة[2].

المبحث الرابع: في فضل علم قواعد التفسير

لما كان علم قواعد التفسير من العلوم التي تتصل اتصالا وثيقا بعلوم القرآن الكريم، والتي هي أفضل العلوم مطلقًا لقربها من كتاب الله تعالى، ومقارنتها إياه وكل قرين بالمقارن يعرف، يمكن أن نجمل النقاط التي يتبدى بها فضل هذا العلم الشريف فيما يأتي:

- يعين هذا العلم على الفهم السديد لمعاني القرآن الكريم إذ يخرج به فهمًا منضبطًا وفق قواعد وأصول يرتكز عليها هذا الفهم.
- يعد هذا العلم من أهم علوم التفسير إذ به يتبين مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.
- يحوز هذا العلم الجليل الشرف من جهاته الثلاثة التي يحوزها علم التفسير وعلوم القرآن، من جهة الموضوع إذ موضوعه القرآن الكريم الذي هو موطن كل حكمة ومعدن كل فضيلة، وشرف الغاية والقصد، إذ قصده وغايته الفوز بسعادة الدارين، وشرف

---

[1]- المنثور في القواعد لبدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي ت ٧٩٤هـ ، تحقيق: تيسير فائق أحمد محمود، مراجعة عبدالستار أبو غدة، ط١، ١٤٢٠= ١٩٨٢، ٦٥/١

[2]- قواعد التفسير ص ٥١.

الحاجة إليه فكل نفع ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والتي بدورها تفتقر إلى التفسير وهو مفتقر حتمًا إلى علم القواعد.

وإلى هذه المعاني أشار جمع من العلماء في بيان شرف علم التفسير[1].

المبحث الخامس: في نسبة هذا العلم

يتبين من اسم هذا العلم الجليل من علوم القرآن الكريم النسبة التي يعنى بها، فهو يسمي بعلم قواعد التفسير أو علم أصول التفسير وعلى كلتا التسميتين يظهر نسبته إلى علم التفسير الذي هو أشرف العلوم وأرقاها، والذي يعني ببيان معاني كلام الله تعالى بعد تحقيق أدواته قدر الطاقة البشرية.

المبحث السادس: في واضع هذا العلم

نظرًا لأن علم قواعد التفسير من العلوم التي ظهرت مؤخرًا كفن مدون من فنون علوم القرآن فلا يتضح على وجه اليقين من الذي وضعه أولًا، أو تكلم فيه قبل غيره، فلو أجلنا النظر قليلًا ربما يسوقنا هذا النظر إلى القول بأن أول واضع لهذا العلم هو الإمام الشافعي الذي ألف كتابه الرسالة، وجمع فيه من القواعد والضوابط التي تصلح أن تكون ركيزة لاستنباط أحكام القرآن الكريم وفهم مرادات الله تعالى من كلامه.

---

[1]- تفسير الإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢، المقدمة وتفسير سورة الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبدالعزيز بسيون، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ = ١٩٩٩ ، ٣٦/١.

وذلك لأن السيوطي رحمه الله ذكر أن أول متكلم في علوم القرآن هو الشافعي رحمه الله عندما حيث نقل في مقدمة اتقانه عن شيخه جلال الدين البلقيني حين نسب ذلك للشافعي فقال: "وقد اشتهر عن الإمام الشافعي رضي الله عنه مخاطبة لبعض خلفاء بني العباس فيها ذكر أنواع من علوم القرآن يحصل منها لمقصدنا الاقتباس[1].

وإلى هذا المعنى أشار الزرقاني بقوله: فنحن نقرأ في تاريخ الشافعي رضي الله عنه أنه في محنته التي اتهم فيها بأنه رئيس حزب العلويين باليمن، وسيق بسبب هذه التهمة إلى الرشيد مكبلا بالحديد في بغداد، سأله الرشيد حين لمح علمه وفضله، فقال: كيف علمك يا شافعي بكتاب الله عز وجل فإنه أولى الأشياء أن يبتدأ به؟ فقال الشافعي: عن أي كتاب من كتب الله تسألني يا أمير المؤمنين؟ فإن الله تعالى قد أنزل كتبا كثيرة. قال الرشيد: قد أحسنت لكن إنما سألت عن كتاب الله المنزل على ابن عمي محمد صلى الله عليه وسلم. فقال الشافعي: إن علوم القرآن كثيرة فهل تسألني عن محكمه ومتشابهه؟ أو عن تقديمه وتأخيره؟ أو عن ناسخه ومنسوخه؟ أو عن.. أو عن..؟؟ وصار يسرد عليه من علوم القرآن ويجيب على كل سؤال بما أدهش الرشيد والحاضرين.

فأنت ترى من جواب الشافعي هذا ومن فلجه بالصواب في هذا الموقف الرهيب، ما يدلك على أن قلوب أكابر العلماء كانت أناجيل لعلوم القرآن من قبل أن تجمع في كتاب أو تدون في علم. وقد نوه جلال الدين البلقيني في خطبة كتابه" مواقع العلوم من مواقع النجوم" بكلمة الشافعي التي ذكرناها إذ قال: قد اشتهر عن الإمام الشافعي رضي الله عنه مخاطبة

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن ٦/١

لبعض خلفاء بني العباس فيها ذكر بعض أنواع علوم القرآن يحصل منها لمقصدنا الاقتباس، وهذا لا يستبعد على الإمام الشافعي فهو آية من آيات الله تعالى في علمه وذكائه، وفي ابتكاره وتجديده، وفي قوة بحثه وتوفيقه، فهو أول من صنف في أصول الفقه، وهو أحد أركان المذاهب الأربعة، فلله دره[1].

وهذا الذي ذكره البلقيني وارتضاه السيوطي هو ما أميل إليه نظرًا لأن علم قواعد التفسير من العلوم الأصيلة التي تنتمي إلى علوم القرآن الكريم، والتي ظهر أن أول واضع لها كبذرة أتت من ثمارها بعده الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كما قاله السيوطي، وسيظهر عن قليل سرد المراحل لظهور علم قواعد التفسير من لدن نزول القرآن الكريم حتى العصر الحاضر.

المبحث السابع: في أسماء علم قواعد التفسير

يسمى هذا العلم الجليل عند علماء علوم القرآن باسم قواعد التفسير، لأنه بمثابة قواعد وضوابط قام العلماء بصياغتها من استقراء جزئيات كثيرة وفروع عدة، حتى صارت قاعدة حاكمة يمكن أن يرتكز عليها تفسير القرآن الكريم.

كما يسمى هذا العلم أيضًا لذات السبب السابق بأصول التفسير.

ولم يشتهر بغير هذين الاسمين.

---

[1]- مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٣١

المبحث الثامن: في استمداد علم قواعد التفسير

قال العلماء: المقصود بالاستمداد هو ما استمدت منه هذه القواعد والموارد التي وردتها حتى تصير قاعدة كلية.

وعليه قال الدكتور خالد السبت: من خلال التتبع والاستقراء نجد أن قواعد التفسير مستمدة مما يأتي:

١-القرآن الكريم عن طريق استقراء بعض القضايا فيه. وستجد في ثنايا هذا الكتاب قواعد تدل على ما ذكرت.

٢- السنة النبوية.

٣- بعض ما أثر عن الصحابة رضي الله عنهم في الكلام على التفسير بحيث إنه يمكن أن نعرف منه أن بعض الأصول التي يسيرون عليها في استنباط المعاني.

٤- أصول الفقه لأن حقيقتها استقراء كليات الأدلة حتى تكون عند المجتهد نصب عين، وعند الطالب سهلة الملتمس.

٥- اللغة والبيان والنحو والتصريف لأن علوم اللسان هادية للصواب في الكتاب والسنة، فحقيقتها إذن أنها فقه التعبد بالألفاظ الشرعية الدالة على معانيها كيف تؤخذ وتؤدى.

وقد بالغ الشاطبي في هذا المعنى فقال: وغالب ما صنف في أصول الفقه من الفنون إنما هو من المطالب العربية التي تكفل المجتهد فيها بالجواب عنها وما سواها من المقدمات فقد يكفى فيه التقليدكَالْكَلَامِ فِي الْأَحْكَامِ تَصَوُّرًا وَتَصْدِيقًا؛ كَأَحْكَامِ النَّسْخِ، وَأَحْكَامِ الْحَدِيثِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

فالحاصل أَنَّهُ لَا غِنَى لِلْمُجْتَهِدِ فِي الشَّرِيعَةِ عَنْ بُلُوغِ دَرَجَةِ الِاجْتِهَادِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ فَهْمُ خِطَابِهَا لَهُ وَصْفًا غَيْرَ مُتَكَلَّفٍ ولا متوقف فيه في الأغلب إِلَّا بِمِقْدَارِ تَوَقُّفِ الْفَطِنِ لِكَلَامِ اللَّبِيبِ[1].

٦- كتب علوم القرآن ومقدمات بعض كتب التفسير.

قال السبت بعد سرد الكلام السابق: تنبيهان، الأول: لم نذكر علم التوحيد لأنه راجع إلى الكتاب والسنة وإلا فهو ضروري لأن حاصله تقرير لأدلة القرآن والسنة، أو ما ينشأ عنها في التوحيد وما يتعلق به.

الثاني: لم نذكر كتب التفسير مع أنها مشحونة بالقواعد بسبب أن وجود القواعد فيها إنما هو عبارة عن تطبيقات للقواعد، وليس المقصود من ذكرها تقريرها كما هو الحال في الفقه مثلًا، فإن كتبه مشحونة بالقواعد الأصولية ومع ذلك لا تعتبر كتب الفقه مادة يستمد منها قواعد الأصول[2].

المبحث التاسع: حكم علم قواعد التفسير

نظرًا لأن علم قواعد التفسير فرع من فروع علوم القرآن فإن حكم الشارع في علوم القرآن ينسحب على هذا العلم.

فهذا العلم من الواجبات الشرعية على المكلف وجوبًا كفائيًا، لأن هذا العلم يتعلق بكتاب الله تعالى وفهمه وما يدور حوله من معارف، وإنما نزل

---

١ - الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ت ٧٩٠هـ

تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧= ١٩٩٧، ٥٧/٥

٢- قواعد التفسير جمعًا ودراسة ص ٥١: ٥٣

القرآن الكريم ليعمل به، ولا مجال للعمل به إلا بتعلم أدواته والوقوف على شروطه ومقدماته، والتي منها هذا العلم، وكما قيل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. أما إذا تعين على أحد تعلمه فينتقل من الوجوب الكفائي على الأمة إلى الوجوب العيني على المتعين.

ولهذا قال محي الدين الكافيجي رحمه الله: ثم إن تعلم علم التفسير واجب كوجوب تعلم سائر العلوم الإسلامية بالإجماع، ولأن تعلم الشرائع واجب مطلق لا يتم إلا به، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به، وكان مقدورًا للمكلف فهو واجب، وإن تعلمه فرض من فروض الكفاية كتعلم علمي الحديث والفقه لجواز الاكتفاء بتعلم بعض المكلفين عن تعلم البعض الآخر منهم، ولأن وجوبه على كل أحد بحيث لا يجوز تركه يوجب الحرج ويشوش المعاش[1].

المبحث العاشر: في مسائل هذا العلم

أما عن مسائل هذا العلم الجليل من علوم القرآن الكريم فهي كثيرة، قل أن تحصى، لأنه ما من علم من علوم القرآن الكريم إلا ويمكن أن تصاغ منه قواعد تفسيرية تقل أو تكثر حسب مفردات هذا العلم، ويمكن أن نضرب أمثلة لبعض مسائل هذا العلم التي تنتمي إلى علوم القرآن فنقول:

علم القراءات

قاعدة: القراءات الشاذة إذا خالفت القراءة المتواترة المجمع عليها ولا يمكن الجمع فهي باطلة.

---

[1]- التيسير في قواعد علم التفسير ص ٣١.

قاعدة: القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها فإذا ثبتت لم يردها قياس ولا فشو لغة .

علم معرفة تفسيره وتأويله

قاعدة: التفسير إما بنقل ثابت أو رأي صائب وما سواهما فباطل.

قاعدة: ألفاظ الشارع محمولة على المعاني الشرعية فإن لم تكن فالعرفية فإن لم تكن فاللغوية.

علم بدائع القرآن

قاعدة: وضع الظاهر موضع المضمر وعكسه إنما يكون لنكته.

قاعدة: الغالب في القرآن وفي كلام العرب أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه.

علم أقسام القرآن.

قاعدة: الحكم بتقدير قسم في كتاب الله تعالى دون قرينة ظاهرة فيه فيه زيادة على معنى كلام الله بغير دليل.

علم أسباب النزول

قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وهكذا سار علماء علوم القرآن على نفس هذا النسق في كل علوم القرآن الكريم فقعدوا القواعد في كل علم منها، فما من أمر كلي يمكن أن تندرج تحته جزئيات كثيرة إلا وجعلوه قاعدة تفسيرية فقل علم لا تستخرج منه قاعدة أو قواعد.

الفصل الثاني

علم قواعد التفسير

نشأته وتطوره

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشأة علم قواعد التفسير

المبحث الثاني: تطور علم قواعد التفسير

المبحث الأول: نشأة علم قواعد التفسير

يمكن أن يكون مسار الحديث عن نشأة علم قواعد التفسير على منحيين؛ المنحى الأول: نشأة مسائل هذا العلم من علوم القرآن، والمنحى الثاني: عن نشأة هذا العلم كعلم مستقل من علوم القرآن الكريم.

أولا: المنحى الأول: نشأة مسائل هذا العلم

من الصعوبة بمكان أن يجزم باحث بنشأة هذا العلم على وجه التحديد، لما مني به هذا العلم من غموض حال خروجه إلى فنون علوم القرآن، حيث مر هذا العلم بأطوار شتى، من كونه بذرة من بذور علوم القرآن إلى صيرورته علمًا مستقلًا له قواعده وقوانينه التي تميزه عن غيره من العلوم.

لكنه يمكن إرجاع نشأة مسائل هذا العلم وظهور بواكيرهاإلى نشأة وظهور بواكير مسائل علوم القرآن الكريم والتي ظهرت وتبدت أول باكورة منها على يد الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه الرسالة الذي أصل فيه وأسس لعدة من العلوم منها علم أصول الفقه وعلوم القرآن وعلم قواعد التفسير وعلم قواعد الفقه، حيث ظهر في ثنايا هذا الكتاب الماتع ما يصلح أن يندرج الآن في علم قواعد التفسير بعد صيرورتها علمًا مستقلًا من علوم القرآن الكريم، ومن هذه القواعد ما يلي:

١- حديث الشافعي عن أقسام بيان الله تعالى لخلقه في كتابه.

٢- كلام الشافعي في النسخ.

٣- كلام الشافعي عن نهي الله تعالى ونهي رسوله صلى الله عليه وسلم.

٤- قول الشافعي:كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم منصوصًا بيناً لم يحل الاختلاف فيه لمن عليه[١].

من هنا يستطيع الباحث أن يقول: أن نشأة مسائل هذا العلم كانت على يد الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى.

ثانيًا: المنحى الثاني: نشأة هذا العلم

وأما عن نشأة هذا العلم كفن مدون فقد ظهرت بعض المؤلفات التي تحمل اسم هذا العلم، وانقسمت هذه المؤلفات إلى قسمين: قسم منهاجاء ما تحويه بين دفتيها من مسائله التي تستأهل أن تنضوي تحت لوائه قليلا ،وقسم من هذه المؤلفات حمل اسم هذا العلم ظاهرًا على جهة التجوز والتسمح لا على وجه الاصطلاح المعتبر، فمن النوع الأول: كتاب التيسير في قواعد علم التفسير لمحي الدين محمد بن سليمان الكافيجي والذي لم يتناول في رسالته هذه سوى القليل من قواعد هذا العلم، وكتاب أصول التفسير ومناهجه لفهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي .

ومن النوع الثاني: كتاب فصول في أصول التفسير للطيار، وغيرها.

وقد قابل الباحثين صعوبات كثيرة في تحديد نشأة هذا العلم على وجه التحديد لأجل عدم توافر مادة هذا في سياق المؤلفات.

قال سميع الحق: الحديث عن نشأة قواعد التفسير يكون من وجهين:

١- الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون، ص ٢١، ٢٤٢، ٣٤٣، ٥٦٠

الأول: من جهة كونها مفرقة ومتناثرة في مصادرها التي تستمد منها، فالكلام فيها هو الكلام عن نشأة بعض العلوم وتطورها كأصول الفقه وعلوم القرآن وعلوم اللغة وهذا بالطبع ليس هو المقصود هنا.

الوجه الثاني: نشأتها كفن مستقل مدون (حسب المصطلح الخاص بها) وهذا بعد التتبع لم يقف فيه على القدر الذي يتناسب مع ما له من أهمية، لأن مؤلفات هذا العلم كانت متناثرة وقليلة جدا، ولكن في الأزمنة المعاصرة كثرت عناية الناس به، كما توجد بعض الكتب المعاصرة ذات العناوين المشابهة أو المطابقة – ظاهرًا – للموضوع بغض النظر عن مضمونها[1].

وفي الصفحات الآتية نقف مع تطور هذا العلم من نشأته إلى عصرنا الحاضر، والله أعلم.

المبحث الثاني: تطور علم قواعد التفسير

سبق عن قليل الحديث عن نشأة علم قواعد التفسير وفي هذا المبحث نستعرض تطور هذا العلم على مر أربعة عشر قرنًا مرت من تاريخ الإسلام.

وسوف لا يكون أمامنا في الحديث عن تطور هذا العلم سوى طريقين:

---

[1]– قواعد التفسير نشأتها وتطورها لسميع الحق بن نصر من الله، أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن – الجامعة الإسلامية بإسلام أباد، ص ١٥٤، بحث في ١٩صفحة.

الأول: الحديث عن تطور هذا العلم عبر القرون والسنوات قرناً من بعد قرن حتى العصر الحديث، وهذا الطريق سوف يحدث خلطاً في إدراك مواطن الضعف والقوة في تسلسل هذا العلم.

الثاني: الحديث عن تطور هذا العلم من خلال تتبع مسائل علم قواعد التفسير في كل مظنة من مظانها متتابعة على مر العصور، وهذا الطريق سوف يجعل القارئ على إدراك تام بمظان علم القواعد عبر الأزمنة.

وحيث إن هذا الطريق هو ما وقع الاختيار عليه فالحديث ينقسم فيه عن القواعد التفسيرية على خمسة أطوار.

الطور الأول: قواعد التفسير مستبطنة في الصدور.

الطور الثاني: قواعد التفسير في مقدمات كتب التفسير.

الطور الثالث: قواعد التفسير في كتب علوم القرآن.

الطور الرابع: قواعد التفسير في كتب أصول التفسير.

الطور الخامس: قواعد التفسير في كتب قواعد التفسير.

والله الموفق والمستعان

الطور الأول: قواعد التفسير مستبطنة في الصدور

مما لاشك فيه أن القرآن الكريم نزل ليعمل به بعد تحقيق قراءته وتلاوته وترتيله وحفظه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر لصحابته ما غفلوا عنه من ألفاظ ربما تكون غامضة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يورثهم الملكة التي يفسرون بها القرآن الكريم،

ويدركون بها معانيه ومراميه، فكما أنهم كانوا يستعملون علوم القرآن الكريم وهي في صدورهم ويفسرون بها القرآن الكريم على إثر بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم هذا الشيء، فكذلك كان الحال عندهم في قواعد التفسير، فقد كانوا يستعملون هذا القواعد وهي مستبطنة في صدورهم يستنبطون بها معاني القرآن الكريم.

فقد فرق العلماء بين الملكة والمصطلح من حيثية كون الملكة قد تكون موجودة ومستعملة قبل ظهور مصطلحها بزمان، ثم يتقادم العهد وينسي الناس هذه الملكة، أو تتلاشى عن بعضهم، أو لا يستطيعون إدراكها فيضطر العلماء إلى وضع مصطلحات تضبط هذه الملكة وتجليها، وهذا الذي حدث في كثير من الاصطلاحات العلمية، فقد كان الفاعل مرفوعًا منذ أن ظهرت لغة القرآن إلى الوجود لكن لم يظهر اصطلاح الفاعل وإعرابه إلا في زمان متأخر وهكذا في سائر العلوم.

وعلى هذا كان حال قواعد التفسير إذ كانت مستبطنة في صدور الصحابة يستعملونها ويدركونها ويقفون عندها، ولكن لم يظهر مصطلحها إلا متأخرًا.

أي قد كانت عندهم الملكة التي ورثوها عن النبي صلى الله عليه وسلم واستصحبوها في تفسيرهم لكلام الله تعالى، ولم يكونوا في حاجة إلى وضع المصطلح لقربهم من صاحب الوحي صلى الله عليه وسلم، حيث كان يجيبهم عما يعن لهم من أسئلة ويحكم لهم فيما يظهر من قضايا ومشكلات، كما أنهم حضروا معه صلى الله عليه وسلم الأحداث والوقائع التي أثرت خبرتهم في هذا الشأن، مع ما كانوا

يتمتعون به من قوة في الفهم ووعي في الإدراك والاستنباط، مع المعرفة التامة باللغة العربية لكون القرآن الكريم نزل على لغتهم.

وفي السطور الآتية نستعرض مثالا توضيحيا يبرهن على استعمال الصحابة رضي الله عنهم لقواعد التفسير دون أن يجري لها ذكر على ألسنتهم فنقول:

من القواعد التفسيرية التي سطرها العلماء في كتبهم قولهم: تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب.

وقاعدة: كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء.

وقاعدة: لا يجوز حمل ألفاظ الكتاب على اصطلاح حادث.

وقاعدة: القرآن عربي فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها[1].

فهذه القواعد الأربعة إذا استعرضنا ما فعله سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مع نافع بن الأزرق والذي سأله عن العديد من المعاني القرآنية نجد أنه لم يتعد رضي الله تعالى عنه في الإجابة عن مسألة واحدة منها عن معهود كلام العرب في خطابهم مستدلا على

---

١ – انظر قواعد التفسير جمعا ودراسة لخالد بن عثمان السبت، ١/٢٤٤، ٢٥٢،٢٥٨، ٢٦٠

هذا بالشعر العربي وقد سطر هذه المسائل الإمام السيوطي في كتابه الإتقان [1].

وإن كان الحال أن سند هذه القصة ضعيف إلا أنه قد ورد من الصحيح ما يظهر كون الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستعملون هذه القواعد السابقة وغيرها من قواعد علم التفسير.

قال أبوبكر بن الأنباري: قال ابن عباس رضي الله عنهما : الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا حرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه.

وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب[2].

وأخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يسأل عن القرآن الكريم فينشد فيه الشعر قال: يعني أنه كان يستشهد به على التفسير.

فمن الأمثلة على ذلك ما خرجه أبو عبيد أيضا بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني

---

١ – الإتقان للسيوطي ٨٤٨/٣: ٩٠٣

٢ – إيضاح الوقف والابتداء في كتاب اله عز وجل لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ت ٣٢٨هـ، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩١=١٩٧١، ١٠١/١، ١٠٢

أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها يقول: أنا ابتدأتها[1].

وما أخرجه بسنده عن علقمة في قوله تعالى "ختامه مسك" قال: ليس بخاتم يختم ولكن ختامه خليطه، ألم تر إلى المرأة من نسائكم تقول للطيب: خلطه مسك، خلطه كذا وكذا[2].

والأمثلة على استعمال الصحابة رضي الله عنهم لهذه القواعد وأمثالها أكثر من أن تحصى امتلأت بها كتب التفسير مما يظهر بجلاء استعمالهم رضي الله عنهم لهذه القواعد وإن لم يجر لها على ألسنتهم ذكر.

الطور الثاني: قواعد التفسير في مقدمات كتب التفسير

أخذ علم قواعد التفسير طورًا آخر بخلاف الطور السابق، والذي اتسم فيه بأنه كان مستبطن القواعد، حيث بدأ يظهر هذا العلم -لكن لا على أنه علم- وإنما على صورة بعض القواعد التي قد تختفي حينًا في مقدمات كتب التفسير، وقد تظهر مرة أخرى، فقد اشتملت هذه المقدمات على بعض من علوم القرآن والتي جعلها أصحابها كالمقدمة لكتب التفسير، وأورد بعضهم في أثناء هذه المقدمات بعض القواعد التفسيرية، والذي يستعرض مقدمات كتب التفسير يظهر له هذا مليًا، وفي السطور الآتية نقف مع بعض هذه المقدمات.

---

١ - فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ت٢٢٤، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، ط دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦= ٢٠٠٥، ص ٢٠٥، ٢٠٦

٢ - فضائل القرآن ص٢٠٦

مقدمة تفسير الإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني.

تكلم الإمام عبدالرزاق في مقدمة تفسيره عن جمع القرآن الكريم، ثم تناول في هذه المقدمة مسألة القول في القرآن بالرأي والقاعدة في ذلك، وهو أنه لا يجنح للرأي في التفسير حتى يستوفي التفسير بالمأثور، وذلك بعرض الآية على كتاب الله نفسه، ثم سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أقوال الصحابة، وأقوال التابعين، ثم القول بالرأي في ضوء القواعد والآليات المعتبرة في تفسير القرآن الكريم[1].

وإن كانت هذه المقدمة بسيطة إلا أنها قد احتوت من طريق أو من آخر مادة قواعد التفسير.

مقدمة تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري

يعد الإمام الطبري رأس المفسرين قديمًا وحديثًا دون منازع وقد قدم بين يدي كتابه جامع البيان بمقدمة ضمنها أيضًا عدة قضايا يصلح أن يستخلص منها بعض القواعد.

ومن هذه القضايا اتفاق معاني آي القرآن الكريم مع معاني منطق من نزل بلسانه صلى الله عليه وسلم عند البيان، فهذه قاعدة من قواعد التفسير لا تنفك عنه، وهي اتساق ما يفهم من معاني القرآن الكريم مع منطق النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله تعالى لبيان هذا الكتاب وتبليغه سائر من نزل لأجله.

---

[1] تفسير الإمام عبدالرزاق همام الصنعاني ٢١١ هـ ، تحقيق: د. محمود محمد عبده ، ط دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩= ١٩٩٩ ، ص ١٤٩.

وقد عقد الإمام الزركشي علمًا مستقلا من علوم القرآن في هذه القاعدة وهي معاضدة السنة للكتاب الكريم حيث أورد ما يزيد على الخمسين مثالا من القرآن الكريم لآيات كريمة جاء في معنى كل آية منها حديث أو أكثر مما يظهر أن السنة الشريفة تعاضد القرآن الكريم وتأتي في معنى آياته وهذا عين ما تنطق به القاعدة السابقة والتي تقضي بأن معاني القرآن الكريم تتسق مع منطق النبي صلى الله عليه وسلم عند بيانه لهذه الآيات الكريمة [1].

مقدمة تفسير هود بن محكم الهواري وتفسير ابن أبي زمنين.

لم يغفل الشيخ هود بن محكم الهواري هذه المقدمات في صدر تفسيره، كذا لم يغفل ابن أبي زمنين هذه الأمر وكتب كل منهما في صدر تفسيره مقدمة ذكر فيها حكم التفسير بالرأي وضوابطه[2].

مقدمة تفسير التيسير في علم التفسير للقشيري.

يتكلم القشيري في تفسيره على مقدمات حول هذا العلم مثل الفرق بين التفسير والتأويل، ومعنى إنزال القرآن، وترتيب النزول، وكيفية جمع

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ت ٣١٠ ، تحقيق: محمد عبدالمحسن التركي، ط دار هجر، من ٣: ٤٨.

٢- تفسير كتاب الله العزيز لهود محكم الهواري، من علماء القرن الثالث الهجري، تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي، ط دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠، ص ٦١، تفسير القرآن العظيم لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين ت٣٩٩ ، ط دار الفاروق، ط١- ١٤٢٣ = ٢٠٠٢

القرآن، وتكلم عن إعجاز القرآن والأحرف السبعة، ثم عدد آيات القرآن الكريم ثم سجدات القرآن[١].

مقدمة تفسير المحرر الوجيز لابن عطية[٢]

تناول ابن عطية في تفسيره بعض المقدمات التي ينتمي أغلبها إلى علوم القرآن الكريم، وإذا استنبطت منها بعض القواعد التفسيرية لكن ليس على سبيل الأصالة، ولكن على جهة التبعية، حيث تكلم عن فضل القرآن الكريم، ولغته والنظر في إعرابه، وتكلم عن تفسير القرآن الكريم والجرأة عليه، وتكلم عن الأحرف السبعة وعن إعجاز القرآن ..إلخ.

ومن القواعد التي ذكرها ابن عطية رحمه الله قوله: والذي أقوله: إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا يفهمها إلا من لسان آخر[٣].

مقدمة تفسير القرآن العظيم لابن كثير

من المقدمات التي ظهرت فيها بعض قواعد التفسير المشهورة مقدمة ابن كثير، حيث تناول فيها الحديث عن الإسرائيليات ذاكرا الضابط والقاعدة التي يتعامل بها المفسر مع الإسرائيليات، وذلك بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام

١التيسير في علم التفسير من أول الكتاب إلى سورة البقرة، دراسة وتحقيق، إعداد: عبدالله علي الميموني المطيري، تحقيق يحيى بن يحيى زمزمي، ١٤٢٧، ص ١٦٨.

٢- المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٥٤٦، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ط دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٢٢ = ٢٠٠١، ص ٣٣ وما بعدها.

٣- انظر مقدمة تفسير ابن عطية ص ٥١.

رئيسة كما هو معلوم، ما وافق القرآن، وما خالفه، وما لم يوافقه ولم يخالفه، وبين كيفية تعامل المفسر مع هذه القاعدة.

إلى غير ما ذكر من موضوعات أخرى في هذه المقدمة من موضوعات علوم القرآن[1].

مقدمة محاسن التأويل للقاسمي

من أبدع مقدمات التفسير التي احتوت قواعد تفسيره حتى إنها تعد من المؤلفات في هذا الشأن مقدمة تفسير محاسن التأويل للإمام جمال الدين القاسمي، حيث عنونها صاحبها: تمهيد خطير في قواعد التفسير، وضمنها العديد من القضايا المهمة التي لا بد للمفسر من معرفتها وهي:

١- قاعدة في أمهات مآخذ التفسير.

٢- قاعدة في معرفة صحيح التفسير.

٣- قاعدة في سبب النزول.

٤- قاعدة في الناسخ والمنسوخ.

٥- قاعدة في القراءات الشاذة والمدرجة.

٦- قاعدة في قصص الأنبياء والاستشهاد بالإسرائيليات.

٧- قاعدة في أن كل معنى مستنبط من القرآن الكريم غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء.

---

[1]- تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ ، تحقيق: مصطفى السيد وآخرون، ط مؤسسة قرطبة ، بدون، ص ٣ وما بعدها.

٨- قاعدة في أن الشريعة أمية ولا بد في فهمها من اتباع معهود الأميين وهم العرب.

٩- قاعدة الترغيب والترهيب في القرآن الكريم.

١٠- قاعدة في هل في القرآن مجاز أم لا؟

وقد ضمن القاسمي هذه القواعد العديد من الفصول التي احتوت الموضوعات المهمة.

فهذه المقدمة بحق من أكبر وأمتع المقدمات التي ظهرت بين يدي تفسير وهي تعد من المؤلفات في علم القواعد[١].

مقدمة كتاب التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.

ذكر الطاهر بن عاشور في مقدمته بين يدي تفسيره عشر مقدمات بديعة يمكن أن يستخلص منها العديد من القواعد، كما أنه في بعضها أظهر ما يصلح أن يكون قواعد خالصة مثل حديثه في عادات القرآن الكريم[٢].

هذه بعض مقدمات التفسير التي ظهر فيها بواكير علم قواعد التفسير، كما يوجد من مقدمات التفسير ما ذكر أصحابه ما يصلح أن يكون قواعد لعلم التفسير، وهي موضوعات علوم القرآن كمثل الفرق بين التفسير والتأويل، وحكم التفسير بالرأي والأدوات والعلوم التي يحتاج إليها المفسر، وأسباب الخلاف بين المفسرين، وذلك في مقدمة التسهيل لابن جزي

---

١ – محاسن التأويل للعلامة محمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار إحياء التراث العربي، ط١٣٧٦،١= ١٩٧٥.ص٤: ٣٤٩.

٢ – التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية، ١٩٨٤، ص ٥، وما بعدها وانظر ص ١٢٤.

الكلبي[1]،والنكت والعيون للماوردي، وزاد المسير لابن الجوزي والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ومعالم التنزيل للبغوي، والجواهر الحسان

---

[1]- انظر التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ٧٤١ ،ط دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥ = ١٩٩٥ ، ١/ ٣ وما بعدها، النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ت٤٥٠ه، دار الكتب العملية، بدون،١/٢١: ٤٢، زاد المسير في علوم التفسير للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي محمد الجوزي القرشي البغدادي ت ٥٩٧ ، ط المكتب الإسلامي، ط ٣ ، ١٤٠٤= ١٩٨٤ ص ٤ وما بعدها، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ٦٧١ ، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧ -١،٢٠٠٦/٥: ١٣٤، معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦ هـ ، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون ، ط دار طيبة، ١،١٤٠٩/٣٣: ٤٧، الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبدالرحمن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي ٨٧٥هـ ، تحقيق علي محمد معوض وآخرون، ط دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨= ١٩٩٧، ١/ ١١٧ وما بعدها، لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ت ٤٢٥ ، ضبط عبدالسلام محمد علي شاهين، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٥=٢٠٠٤ ، ١/ ٣ وما بعدها، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي ١٢٧٠، ط دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون ، ١/ ٢ وما بعدها، تفسير أحمد مصطفى المراغي، ط دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٣٦٥= ١٩٤٦ ، ص ٥ وما بعدها. زهرة التفاسير للشيخ محمد مصطفى أبو زهرة، ط دار الفكر العربي، ١٩٨٧ ، ١/٢١ وما بعدها، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن العلامة الأمين بن ممد المختار الجنكي الشنقيطي، تحقيق بكر عبدالله أبو زيد، ط دار عالم الفوائد، ١/ ٥، وما بعدها.

للثعالبي، ولباب التأويل للخازن، وروح المعاني للآلوسي، وتفسير المراغي، وتفسير أبي زهرة، وتفسير الشنقيطي.

الطور الثالث: علم قواعد التفسير في كتب علوم القرآن

لم تكن كتب علوم القرآن الكريم عبر تاريخها الطويل منذ النشأة وحتى العصر الحديث بأقل حظًا بقواعد التفسير من مقدمات كتب التفسير، بل كانت وفيرة الحظ بها، حيث وجد في كتب علوم القرآن الكريم العديد والعديد من القواعد التفسيرية الصريحة أو المستنبطة، وفي الصفحات الآتية نستعرض سويًا بعض أهم كتب علوم القرآن الكريم التي ذكرت قواعد التفسير.

١-كتب أصول علوم القرآن

ظهر في مطولات علوم القرآن وأمهات مؤلفاتها ذكر قواعد التفسير، فرؤي الإمام أبوالنصر أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي المعروف بالحدادي المتوفى بعد الأربعمائة في كتاب المدخل لعلم تفسير القرآن الكريم، والذي ألفه لولده محمد نعمة الله وصلة منه لابنه، وهدية له ولسائر إخوانه من المسلمين، وجعله مدخلا لتفسير كتاب الله تعالى ومعانيه وتنبيها على ما غمض من طرقه ومبانيه، ضمنه العديد والعديد من القواعد التفسيرية المنثورة في بطن هذا الكتاب، والمنتقاة من كتب النحواللغة والبلاغة، وقد جاء هذا الكتاب في ما يقرب من الستمائة

صفحة، وهو يعد من الكتب التي تناولت في ثناياها الكثير من القواعد التفسيرية[١].

ورؤى الإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن يذكر المسائل الكثيرة التي تنتمي إلى علم القواعد، ويمكن أن نذكر في هذا السياق ما يأتي:

- ذكر الزركشي ضمن علم أسباب النزول قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقاعدة تقدم نزول الآية على الحكم [٢]، وذكر في معرض حديثه عن علم المناسبة قاعدة في اتصال اللفظ لمعنى على خلافه[٣].

وذكر في معرض حديثه عن معرفة أحكام القرآن الكثير من القواعد وابتدأها بذكره ضرورة معرفة المفسر أصول قواعد الفقه وغيرها الكثير[٤].

وذكر في معرض حديثه عن تفسير القرآن وتأويله العديد من القواعد نحو: ما يجب على المفسر البداءة به، والأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال[٥].

١- المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى لأبي النصر أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي المعروف بالحدادي والمتوفى بعد الأربعمائة تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط دار القلم، ط١، ١٤٠٨=١٩٨٨، ص ٥١

٢ – البرهان للزركشي ١/ ٣٢، ٣٣

٣- البرهان ٥٠/١

٤ – البرهان ٦/٢

٥ – البرهان ٢/ ١٧٣، ١٩٩

وذكر في معرض حديثه عن أساليب القرآن وفنونه البليغة العديد والعديد من قواعد التفسير نحو: قاعدة مقابلة الجمع بالجمع، وقواعد الضمائر في القرآن الكريم، وقواعد السؤال والجواب، وقواعد العطف وقواعد العدد [١].

ورؤى الإمام السيوطي في الإتقان ينص على العديد من هذه القواعد السابقة وغيرها فنص رحمه الله على قاعدة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والتي تعتبر أصلًا من أصول أسباب النزول[٢].

ونص رحمه الله على قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها، وضمنها النوع الثاني والأربعين من الإتقان، فذكر قواعد الضمائر، وقواعد التذكير والتأنيث، وقواعد التعريف والتنكير، وقواعد الإفراد والجمع، وقواعد السؤال والجواب، وقواعد الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل وقواعد العطف[٣]، مما ينبئ عن أن علم قواعد التفسير لها في كتب علوم القرآن النصيب الوفير.

كذلك رؤى ابن عقيلة المكي في الزيادة والإحسان ينص على هذه القواعد السابقة ويعنون لها في النوع الخامس والأربعين بعد المائة بعلم في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها[٤].

١- انظر البرهان ٣/٤ ، ٢٤، ٤٣، ١٠١، ١١٧.

٢- انظر البرهان ٣/٤ ، ٢٤،٤٣، ١٠١، ١١٧.

٣ - الإتقان ١٢٦٦/٤ وما بعدها.

٤- الزيادة والإحسان في علوم القرآن لأحمد بن محمد بن عقيلة المكي، إصدار مركز البحوث والدراسات بالشارقة ، ط١، ١٤٢٧ =٢٠٠٦، ص ١٨٠ وما بعدها.

ورأينا صاحب مناهل العرفان ينص بين الفينة والفينة على قاعدة من قواعد التفسير، ومن هذه القواعد قانون الترجيح بين الأقوال عند الاحتمال، والذي نقله من السيوطي في الإتقان[1].

كما ذكر رحمه الله قواعد الرسم العثماني وهي ست قواعد: "الحذف، والزيادة، والفصل والوصل، والهمز، والبدل، وما فيه قراءتان فقرئ على إحداهما[2].

فهذه أهم كتب أصول علوم القرآن كيف رأيت أن هذه الكتب لم تغفل القواعد فقد ذكر فيها من القواعد الكثير بل قد أفرد لها هؤلاء الأعلام أنواعًا مستقلة في كتبهم وجعلوها من علوم القرآن.

٢- كتب فروع علوم القرآن

وأقصد بكتب فروع علوم القرآن الكتب والمؤلفات التي أفردها أصحابها في نوع معين من أنواع علوم القرآن، فهذه المؤلفات أيضًا لم تغفل جانب القواعد التفسيرية وإن زاد في بعض هذه المؤلفات عن البعض الآخر، وفي السطور الآتية ذكر لأمثلة في هذا السياق.

-القواعد التفسيرية في كتب مشكل القرآن

نستطيع أن نضرب في هذا السياق المثل بكتاب حافل في هذا الشأن هو كتاب تأويل مشكل القرآن الكريم لابن قتيبة الدينوري، والذي احتوى الكثير والكثير من القواعد، ويمكن للمطالع أن يرى كلامه في باب مخالفة اللفظ معناه، وكلامه في قواعد اللفظ الواحد

---

[1]- مناهل العرفان ٢/ ٥١.

[2]- مناهل العرفان ١/٣٠٠.

للمعاني المختلفة ليقنع بوجود قواعد التفسير في كتب علوم القرآن[1].

- القواعد التفسيرية في كتب الوجوه والنظائر

في واقع الأمر يستطيع الناظر في كتب الوجوه والنظائر أن يربط بين وجوه القرآن الكريم ونظائره، وهي الألفاظ المتواطئة، وبين القواعد التفسيرية والتي هي قواعد كلية تنسحب على القرآن الكريم تعين المفسر على الفهم.

وعلى هذا يمكن أن يقال إن كثيرًا من نظائر القرآن الكريم ووجوهه تصلح أن تكون قواعد للتفسير، فإذا وقف المفسر على قول العلماء في نظائر القرآن "كل ما في القرآن الكريم من ذكر البروج فإنها الكواكب كقوله تعالى: "والسماء ذات البروج".

إلا التي في سورة النساء "ولو كنتم في بروج مشيدة" فإنها القصور الطوال المرتفعة في السماء الحصينة.

لو وقف المفسر على هذا وأمعن النظر فيه لأدرك تماما أن هذا يعتبر من القواعد التفسيرية التي تعينه على فهم الكثير والكثير من الآيات الكريمة.

ومن هنا يمكن أن يقال إن كتب الوجوه والنظائر تحتوي على قواعد التفسير، ومن هذه المؤلفات الوجوه والنظائر للدامغاني، والوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان البلخي وما اتفق لفظه

---

[1]- تأويل مشكل القرآن لعبدالله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦، تحقيق أحمد صقر، ط دار التراث ، ط٢- ١٣٩٣ ، ص ٢٧٥، ٤٤١.

واختلف معناه للمبرد، زد على هذا ما كتبه علماء علوم القرآن كالزركشي والسيوطي وابن قتيبة وغيرهم في هذا الشأن[1].

الطور الرابع : علم قواعد التفسير في كتب أصول التفسير

أخذ علم قواعد التفسير طورا آخر من أطوار نشأته وظهوره، وهذا الطور هو وجود مؤلفات مستقلة تحمل اسم أصول التفسير اشتملت هذه المؤلفات على العديد من القواعد التفسيرية

غير أن هذه المؤلفات لم تكن بالانتشار الذائع مثل كتب علوم القرآن، لما أن الأخيرة قد كتب فيها العلماء من زمان بعيد بخلاف كتب أصول التفسير والتي ظهرت أخيرا كمصطلح على هذا العلم

وفي الصفحات الآتية إطلالة على بعض هذه المؤلفات التي حملت اسم أصول التفسير

١- الفوز الكبير في أصول التفسير

لمؤلفه أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي ت١١٧٦هـ، وهو رسالة وسط تتعدى المائة وخمسين صفحة بقليل، جمع فيها صاحبها مقاصد خمسة الأول: في العلوم الخمسة التي يدل عليها القرآن العظيم، وهي علم الأحكام والجدل والتذكير بآلاء الله والتذكير بأيام الله والتذكير بالموت، الثاني: في بيان وجوه الخفاء في معاني نظم القرآن بالنسبة إلى أهل هذا العصر وإزالة هذا الخفاء بأوضح بيان، تكلم فيه عن غريب القرآن، وناسخه ومنسوخه، وأسباب النزول، والحذف والإبدال، والتقديم والتأخير، والزيادة في الكلام، ثم القسم الثالث في بيان لطائف نظم القرآن

[1]- انظر البرهان ١٢/١، والإتقان ٣/ ٩٧٥، وتأويل مشكل القرآن ص ٤٤١.

وشرحه وأسلوبه البديع، تكلم فيه عن ترتيب الآيات والسور، وعن جمع القرآن، ومقاصد السورة وخواتمها، ووجوه إعجاز القرآن، ثم القسم الرابع في بيان مناهج المفسرين وتوضيح الاختلاف الواقع في تفاسير الصحابة والتابعين، ثم بيان غرائب القرآن العظيم.

وهذه الرسالة لا تعد من قبيل علم القواعد بقدر ما تعد من قبيل علوم القرآن وإن حملت اسم أصول التفسير فهو من قبيل التعريف لعلوم القرآن بالمرادف فهي بمثابة أصول التفسير[١].

٢- أصول التفسير وقواعده لمؤلفه خالد بن عبد الرحمن العك قسمه صاحبه إلى ستة أقسام: القسم الأول: تناول فيه المدخل لدراسة أصول التفسير وقواعده ذكر فيه شيئا من التعريفات.

القسم الثاني: وعنوانه قواعد التفسير في المنهج النقلي والعقلي، تناول فيه تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة والمنهج اللغوي للتفسير ثم تناول المنهج العقلي والاجتهادي وشروط وضوابط التفسير العقلي، وتكلم عن التفسير الإشاري، وذكر محاذير التفسير العقلي.

ثم جاء القسم الثالث في قواعد التفسير في بيان دلالات النظم القرآني، وتكلم فيه عن اللفظ الغريب والمعرب والمترادف والفصل والوصل والإيجاز والإطناب والاستعارة والتشبيه والحقيقة والمجاز والمحكم والمتشابه والنسخ، ثم تكلم عن

١- الفوز الكبير في أصول التفسير لأحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي ت١١٧٦، ط مطبعة الغوثاني، ط١ ، ١٤٢٩= ٢٠٠٨م

الإعجاز ووجوه المخاطبات، ثم القسم الرابع في قواعد التفسير في حالات وضوح الألفاظ القرآنية وإبهامها ودلالات الأحكام، تكلم فيه عن الظاهر والنص والمفسر والمحكم والخفي والمشكل والمجمل والمتشابه ودلالة العبارة والإشارة ودلالة النص والاقتضاء.

ثم جاء القسم الخامس قواعد التفسير في حالات شمول الألفاظ القرآنية ودلالتها على الأحكام وعدم شمولها تكلم فيه عن العام والمشترك والخاص

ثم جاء القسم السادس في قواعد التفسير في ضوابط الألفاظ القرآنية من حيث الرواية والكتابة والتدوين والترجمة تكلم فيه عن الأحرف السبعة والقراءات القرآنية والرسم العثماني وترجمة القرآن الكريم

وهو كتاب يقع في قرابة الخمسمائة صفحة، غير أنه مزج فيه مؤلفه قواعد التفسير مع علوم القرآن مع مناهج المفسرين، فلا يعد هذا الكتاب خالصا في علم القواعد فهو أقرب إلى علم مناهج المفسرين منها إلى قواعد التفسير[1].

٣- التكميل في أصول التفسير لمؤلفه حميد الدين الفراهي وهو كتاب صغير الحجم جدا لا يتعدى المائة صفحة، استهله مؤلفه بقوله : هذا كتاب من مقدمة نظام القرآن أفردناه لتمهيد أصول راسخة لتأويل القرآن إلى صحيح معناه، ومال فيه إلى جعل هذا العلم

١- أصول التفسير وقواعده للشيخ خالد عبد الرحمن العك المدرس في دار الإفتاء العام بدمشق، ط دار النفائس، ط٥، ١٤٢٨= ٢٠٠٧م

مستقلا ضمن علوم القرآن، ثم تكلم عن التفسير بالرأي، ودلائل وجوب التدبر في كتاب الله تعالى، ثم تكلم عن التأويل وأسباب الخطأ فيه، وثنى بالكلام على تأويل المتشابه ثم تكلم على طريق الفهم للمعنى المراد، وذلك بتفسير القرآن للقرآن ووجوه ذلك، ثم تكلم عن أصول التأويل .وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق محمد سميع مفتي.

والمستعرض لهذه الكتب الثلاثة السابقة التي تحمل عنوان أصول التفسير يجد أن هذا المصطلح لم يستعمل خالصا في كتاب واحد منها، وإنما عني بها مؤلفوها القواعد والعلوم التي يرتكز عليها علم التفسير، فمزجوها حينا بعلوم القرآن، وحينا آخر بمناهج المفسرين، فهي تستعمل في عرفهم بمعنى علوم القرآن لا أكثر، والتي ينتمي إليها من طريق أو من أخرى علم قواعد التفسير.

الطور الخامس: علم قواعد التفسير في كتب قواعد التفسير

اتخذ علم قواعد التفسير طورا خامسا من أطوار نشأته حيث تطور من كونه مستبطنا في الصدور معمولا به من دون جريان مسائله على الألسنة، إلى كونه مشارا إليه في مقدمات أمهات كتب التفسير، ثم إلى كونه مسطورا على استحياء حينا وبتوسع حينا آخر في كتب علوم القرآن في ثنايا مسائلها، إلى كونه ممزوجا في كتب أصول التفسير التي تتناول علوم القرآن ومناهج المفسرين معه، إلى كونه في طوره هذا مسطورا في كتب أعدت لهذا العلم رأسا، وهي كتب قواعد التفسير، وقد برز هذا في الآونة الأخيرة في عدة مؤلفات مستقلة، منها ما حمل هذا الاسم متسقا مع الرسم، ومنها ما كان يحمل اسم

قواعد التفسير وهو خلو أو يكاد يكون خلوا من هذه القواعد، وفي السطور الآتية سرد لأهم الكتب التي حملت هذا الاسم مع بيان يسير لما اشتملت عليه:

أولا: كتب حملت اسم قواعد التفسير غير أنها مفقودة

- قواعد التفسير لأبي عبدالله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله المعروف بابن تيمية الحراني المتوفى ٦٢١هـ.
- قواعد التفسير لمحمد بن إبراهيم بن الوزير اليماني المتوفى ٨٤١هـ.
- قواعد تفسير القرآن لأحمد بن محمد السمناني المتوفى ٧٣٦ه ولم يعثر عليه.
- نغب الطائر في البحر الزاخر لمحمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري المعروف بابن الأكفاني المتوفى ٧٤٨ه.
- المنهج القويم في قواعد تتعلق بالقرآن الكريملشمس الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الصائغ الحنفي المتوفى ٧٧٧هـ.
- مقدمة في التفسير لأحمد بن محمد زاغو من علماء الجزائر المتوفى ٨٤٥هـ.

وهذه المؤلفات لم يعثر منها إلا على أسمائها مسطورة في كتب التراجم غير أن عناوينها تنطق بأنها متخصصة في علم قواعد التفسير.

ثانيا: مؤلفات مطبوعة في علم قواعد التفسير

١- الإكسير في علم قواعد التفسير للعلامة سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي المتوفى ٧١٦هـ.

والذي جال في صدره كثيرا إشكال علم التفسير وأراد أن يضع فيه قانونا يعول عليه فقال في مقدمة كتابه: فإنه لم يزل يتلجلج في صدري إشكال علم التفسير وما أطبق عليه أصحاب التفاسير، ولم أر أحدا منهم كشفه فيما ألفه، ولا نحاه فيما نحاه، فتقاضتني النفس الطالبة للتحقيق الناكبة عن جمر الطريق لوضع قانون يعول عليه، ويصار في هذا الفن إليه، فوضعت لذلك صدر هذا الكتاب مردفا له بقواعد نافعة في علم الكتاب، وسميته الإكسير في قواعد التفسير، فمن ألف على هذا الوضع تفسيرا صار في العلم أولا وإن كان أخيرا، ولم أضع هذا القانون لمن يجمد عند الأقوال، ويصمد لكل من أطلق لسانه وقال، بل وضعته لمن لا يغتر بالمحال، وعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال[1].

والناظر في هذا الكتاب يجد المؤلف الطوفي رحمه الله قد وضع قانونا محكما في صدر هذا الكتاب كما أفاد في مقدمته يعصم من الزلل في التفسير، حيث استهل هذا الكتاب بتعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما، ثم قسم كتابه ثلاثة أقسام:

---

[1]- الإكسير في علم التفسير لسليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي ت٧١٦هـ، تحقيق: أ.د. عبد القادر حسين ، ط مكتبة الآداب، ١٩٧٧، ص٢٧.

القسم الأول: في معاني القرآن وضمن هذا القسم القانون الذي تغيـــاه من بحثه فقال: فكلما أردنا فهم معنى كلام الله عز وجل، فلا يخلو إما أن يكون بينا بنفسه كالقسم الأول مـــن قســـمي الكـــلام المـــذكورين أولا...إلى أن قال: واعلم أن التزام هذا القانون في التفسير يدفع عنك كثيرا ممن خبط المفسرين بتباين أقوالهم واختلاف آرائهم[1].

ثم ضمن القسم الثاني العلوم التي اشتمل عليها القرآن الكريم، ثم جاء قسم الكتاب الثالث في علمي المعاني والبيان والذي احتل أغلب هـــذا الكتاب.

فالذي يطالع هذا الكتاب لا يشك في قيمة هذا الكتاب الذي صدره بهذا القانون ثم تناول فيه علوم البلاغة الثلاثة.

٣- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل لمؤلفه عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

وهو كتاب ماتع وقع في قرابة الثمانمائة صفحة، ضـــمنه مؤلفـــه أربعين قاعدة من قواعد التفسير موردا الشواهد القرآنية على كل قاعدة متوسعا في هذا الباب، شارحا لكل قاعدة وميسرا مفهومها وموطن وقوعها من الشواهد.

قال في مقدمته: وخلال ممارستي الطويلة للتـــدبر فـــي القـــرآن العظيم ومطالعتي لتفاسير المفسرين علـــى اخـــتلاف منـــاهجهم، تكشفت لي جملة قواعد هادية لمن أراد أن يتدبر كلام الله بصورة فضلى، فأنا أكتبها لمن شاء أن ينتفع بها، فقد وجدت بالممارســـة

[1]- الإكسير في قواعد علم التفسير ص٣٣، ٤٣ باختصار شديد.

أنها ذات نفع عظيم للمتدبر، وتصلح منهجا يحتذيه المتدبرون للقرآن[1].

قلت: ويعد هذا أول كتاب متخصص من ألفه إلى يائه في علم قواعد التفسير بمصطلحها الحادث، حيث لم يمتزج هذا الكتاب بغير قواعد التفسير، والتي هي قوانين كلية يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن الكريم ومعرفة كيفية الاستفادة منها.

٤- قواعد التفسير جمعا ودراسة لمؤلفه خالد بن عثمان السبت

وهي رسالة للمؤلف لنيل درجة الدكتوراه تقع في مجلدين افتتحها ببعض التعريفات والفروق والمقدمات، ثم ذكر ما يقرب من ثمانين وثلاثمائة قاعدة منها قواعد أصلية وأخرى تبعية، تم استقراؤها من نحو خمسة وعشرين ومائة كتاب، وهو يعد من أجمع الكتب التي تناولت قواعد التفسير في العصر الحديث طبعته دار ابن القيم طبعته الأولى ١٤٣٤= ٢٠١٣م.

٥- قواعد الترجيح عند المفسرين لمؤلفه حسين بن علي بن حسين الحربي، وهي رسالته أيضا لنيل درجة الماجستير من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وهي تقع في سبعمائة صفحة، ضمنها قرابة السبعين قاعدة من قواعد الترجيح، وهو يعد من الكتب المتخصصة في هذا الشأن، طبعته دار القاسم طبعته الأولى سنة ١٤١٧= ١٩٩٦م.

---

[1]- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، طدار القلم، دمشق،،ط ٥، ١٤٣٣= ٢٠١٢، ص١٢

الخاتمة نسأل الله تعالى حسنها

وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته

وبعد هذا التطواف بين دوحة علم قواعد التفسير، والبحث في مبادئه العشرة التي ينبغي على كل شارع في فن أن يقدم بين يدي شروعه بهذه المقدمات العشرة، والبحث في نشأته وتطوره عبر عصور الإسلام، لا يسعني إلا أن أقول: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقبل أن أترك القلم أقف مع أهم النتائج والتوصيات التي بانت لي من خلال معايشتيلهذا البحث بحول الله تعالى وقوته لا بحولي وقوتي فأقول وبالله تعالى التوفيق والسداد:

أولا: أهم نتائج البحث

١- يختلف علم قواعد التفسير عن علوم القرآن وعلم التفسير وعلم أصول التفسير وعلم مناهج المفسرين.

٢- يعتبر أول من كتب في علم قواعد التفسير هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى عند تأليفه لكتاب الرسالة التي ضمت بين دفتيها شتات علوم كثيرة.

٣- ظهر علم قواعد التفسير أول ما ظهر مع علوم القرآن وقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يستنبطونه في أنفسهم، ويستعملونه في تفسير كتاب الله تعالى دون أن يجري له ذكر على ألسنتهم.

٤- تناثرت مسائل علم قواعد التفسير بين طيات كتب علوم القرآن على مر تاريخها وإن لم يتمايز عنها إلا مؤخرا.

٥- كثيرا ما يعبر علماء علوم القرآن عن علم قواعد التفسير بمصطلح أصول التفسير أو بمصطلح قواعد التفسير.

٦- تنقسم مسائل علم قواعد التفسير إلى قواعد عامة وقواعد ترجيحية كما ينقسم إلى قواعد كلية وقواعد أغلبية.

٧- ينتمي علم قواعد التفسير إلى علوم القرآن الكريم وتظهر له الأهمية القصوى في تفسير كتاب الله تعالى إذ يجمع شتات المسائل المتفرقة في علوم القرآن ويسلكها في قواعد كلية أو أغلبية يستعملها المفسر عند قيامه بعملية التفسير.

٨- مر علم قواعد التفسير بخمس مراحل رئيسة في نشأته فقد كان مستبطنا في إحدى مراحله ثم كان في مقدمات كتب التفسير ثم كان مسطورا في مؤلفات علوم القرآن ثم ظهر في مؤلفات أصول التفسير ثم أفردت له مؤلفات مستقلة تحمل عنوان قواعد التفسير.

٩- لم ينل علم قواعد التفسير حظه من التأليف والدراسة والبحث مثل باقي علوم القرآن فهو لا يزال بكرا حيث لم يصل العلماء إلى استقصائه كاملا مثل أشباهه من علوم القرآن الكريم.

١٠-الكثير ممن كتب في علم قواعد التفسير ينتمي إلى المذهب الوهابي مما قد يكون له بعض الأثر في استخراج بعض قواعد التفسير وتطويعها حتى تتماشى مع مذهبهم، مثل كتاب أصول التفسير ومناهجة لعبد الرحمن بن فهد الرومي، وكتاب أصول في التفسير لمحمد بن صالح العثيمين، وكتاب فصول في أصول التفسير لمساعد بن سليمان الطيار، وقد طويت ذكرها في أثناء

البحث لقلة قدرها بين كتب قواعد التفسير وإن كانت تنتمي إليه ولو من وجه.

١١-وجد الكثير من العناوين التي تحمل اسم قواعد التفسير أو تحمل اسم أصول التفسير لكن عند التدقيق ظهر أن أغلب هذه المؤلفات امتزجت فيها علوم القرآن مع أصول التفسير ومع مناهج المفسرين.

ثانيا: أهم التوصيات

١- ضرورة عكوف جمع من العلماء الأزهريين على استقراء كتب علوم القرآن وكتب التفسير وكتب اللغة وكتب أصول الفقه لاستخراج قواعد التفسير من منطلق منضبط بضوابط المنهج الأزهري.

٢- ضرورة استحداث مقرر دراسي يدرس في أقسام التفسير وعلوم القرآن على مستوى الجامعة الأزهرية في مرحلة الإجازة العالية ومرحلة الدراسات العليا يحمل اسم علم قواعد التفسير.

٣- ضرورة اهتمام الباحثين في مراحل الماجستير والدكتوراه بعلم قواعد التفسير وإشباعه دراسة وبحثا حتى ينال حظه من الاهتمام مثل سائر علوم القرآن الكريم.

هذا وما كان من فضل فمن الله تعالى وما كان من تقصير فمني والشيطان وحسبي أنني بشر والنقص مستول على جملتهم لكن الكمال لله تعالى وحده.

وإن تجد عيبًا فسد الخللا جلَّ من لا عيب فيه وعلا

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد

اللهم بارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد والحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم جل من أنزله سبحانه وتعالى

٢- الإتقان في علوم القرآن لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٣- الأشباه والنظائر للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ٧٧١هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤١١هـ=١٩٩١م.

٤- أصول التفسير وقواعده للشيخ خالد عبد الرحمن العك المدرس في دار الإفتاء العام بدمشق، طدار النفائس، ط١٤٢٨،٥= ٢٠٠٧م.

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن العلامة الأمين بن ممد المختار الجنكي الشنقيطي، تحقيق بكر عبدالله أبو زيد، ط دار عالم الفوائد.

٦- الإكسير في علم التفسير لسليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي ت٧١٦هـ، تحقيق: أ.د. عبد القادر حسين ، ط مكتبة الآداب ١٩٧٧م.

٧- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب اله عز وجل لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ت ٣٢٨هـ، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩١=١٩٧١م.

٨- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت٧٩٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار التراث ، ط٣ ، ١٤٠٤ =١٩٨٤م.

٩- تأويل مشكل القرآن لعبدالله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦، تحقيق أحمد صقر، ط دار التراث ، ط٢- ١٣٩٣م.

١٠- التحبير في علوم التفسير لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ ، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ =١٩٨٨م.

١١- التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية، ١٩٨٤م.

١٢- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ٧٤١ ،ط دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥ = ١٩٩٥م.

١٣- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ت٨١٦هـ ، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط دار الريان للتراث، ١٤٠٣.

١٤- تفسير أحمد مصطفى المراغي، ط دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٣٦٥= ١٩٤٦م.

١٥- تفسير الإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢، المقدمة وتفسير سورة الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبدالعزيز بسيون، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ = ١٩٩٩م.

١٦- تفسير الإمام عبدالرزاق همام الصنعاني ٢١١ هـ ، تحقيق: د. محمود محمد عبده ، ط دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩= ١٩٩٩م.

١٧- تفسير القرآن العظيم لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين ت٣٩٩ ، ط دار الفاروق، ط١- ١٤٢٣ = ٢٠٠٢م.

١٨- تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ ، تحقيق: مصطفى السيد وآخرون، ط مؤسسة قرطبة ، بدون.

١٩- تفسير كتاب الله العزيز لهود محكم الهواري، من علماء القرن الثالث الهجري، تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي، ط دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠.

٢٠- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، ط مكتبة وهبة، ط٨ ،١٤٢٤=٢٠٠٣م .

٢١- التيسير في علم التفسير من أول الكتاب إلى سورة البقرة، دراسة وتحقيق، إعداد: عبدالله علي الميموني المطيري، تحقيق يحيى بن يحيى زمزمي، ١٤٢٧م.

٢٢- التيسير في قواعد علم التفسير لمحي الدين محمد بن سليمان الكافيجي ٨٧٩، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، ط مكتبة القدسي، ط١، ١٤١٩= ١٩٩٨م .

٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ت ٣١٠ ، تحقيق: محمد عبدالمحسن التركي، ط دار هجر.

٢٤- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ٦٧١ ، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧ -٢٠٠٦م.

٢٥- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبدالرحمن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي ٨٧٥هـ ، تحقيق علي محمد معوض وآخرون، ط دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨= ١٩٩٧م.

٢٦- حاشية الشيخ حسن العطار على شرح الإمام جلال الدين المحلي على جمع الجوامع لابن السبكي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٢٧- الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٢٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود شكري الألوسي البغدادي ت١٢٧٠ ، ط دار إحياء التراث العربي، بدون.

٢٩- زاد المسير في علوم التفسير للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي محمد الجوزي القرشي البغدادي ت ٥٩٧ ، ط المكتب الإسلامي، ط ٣ ، ١٤٠٤= ١٩٨٤م.

٣٠- زهرة التفاسير للشيخ محمد مصطفى أبو زهـرة، ط دار الفكـر العربي،١٩٨٧ م.

٣١- الزيادة والإحسان في علوم القرآن لأحمد بن محمد بـن عقيلـة المكي، إصدار مركز البحوث والدراسات بالشارقة ، ط١، ١٤٢٧ =٢٠٠٦م.

٣٢- شرح مختصر الروضة لنجم الدين أبي الربيع سليمان بـن عبـد القوي بن عبد الكريم أبي سعيد الطوفي ت ٧١٦هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسـن التركـي، ط مؤسسـة الرسـالة، ط١ ، ١٤٠٧=١٩٨٧.

٣٣- غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر لزين العابـدين بن إبراهيم الشهير بابن نجيم الحنفي، شرح مولانا أحمد بن محمد الحنفي الحموي، ط دار الكتب العلميـة بيـروت، ط١، ١٤٠٥= ١٩٨٥،.

٣٤- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ت٢٢٤، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، ط دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦= ٢٠٠٥م.

٣٥- الفوز الكبير في اصول التفسير لأحمد بن عبد الرحيم المعـروف بولي الله الدهلوي ت١١٧٦، ط مطبعة الغوثاني، ط١ ، ١٤٢٩= ٢٠٠٨م.

٣٦- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل لعبـد الـرحمن حسـن حبنكة الميداني، طدار القلم، دمشق،،ط ٥، ١٤٣٣= ٢٠١٢م.

٣٧- قواعد التفسير جمعًا ودراسة لخالد بن عثمان السبت، ط دار القلم، ط١، ١٤٣٤= ٢٠١٣م.

٣٨- قواعد التفسير نشأتها وتطورها لسميع الحق بن نصر من الله، أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن - الجامعة الإسلامية بإسلام أباد، بحث في ١٩صفحة.

٣٩- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، مطبوع ضمن كتاب متون أصول التفسير، ط دار المستقبل، ط١، ١٤٢٥= ٢٠٠٥م.

٤٠- القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه للدكتور محمد بكر إسماعيل ،ط دار المنار، ط١ ١٤١٧=١٩٩٧م.

٤١- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد علي التهانوي، إشراف: د. رفيق العظم ، ط مكتبة لبنان، ١٩٩٦.

٤٢- الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ت١٠٩٤، تحقيق:عدنان درويش، محمد المصري، ط مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٣٣= ٢٠١٢م.

٤٣- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ت ٤٢٥ ، ضبط عبدالسلام محمد علي شاهين، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٥=٢٠٠٤م.

٤٤- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت٧١١هـ، ط دار المعارف، تحقيق: عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي.

٤٥- مباحث في علوم القرآن لمناع خليل القطان ، ط مكتبة المعارف بالرياض، ط٣، ١٤٣٢=٢٠١١م.

٤٦- محاسن التأويل للعلامة محمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار إحياء التراث العربي،ط١ ١٣٧٦، =١٩٧٥.

٤٧- المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٥٤٦، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ط دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٢٢ = ٢٠٠١م.

٤٨- مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٩٣.

٤٩- المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى لأبي النصر أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي المعروف بالحدادي والمتوفى بعد الأربعمائة تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط دار القلم، ط١، ١٤٠٨=١٩٨٨م.

٥٠- معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦ هـ ، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون ، ط دار طيبة، ١٤٠٩م.

٥١- المعجم الوجيز، ط وزارة التربيـــة والتعلـــيم المصـــرية، ١٤١١ =١٩٩١.

٥٢- المفردات في غريب القرآن لأبي القاســم الحســين بــن محمــد المعروف بالراغب الأصفهاني ت٥٠٢هـــ، تحقيق: محمــد ســيد كيلاني، بدون.

٥٣- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظــيم الزرقــاني، تحقيق: أحمد بن علي، ط دار الحديث بالقاهرة،١٤٢٢=٢٠٠١.

٥٤- مباحث في علوم القرآن لمناع خليــل القطــان، دار المعــارف بالرياض، ط٣، ١٤٣٢=٢٠١١م.

٥٥- المنثور في القواعد لبدر الدين محمد بــن عبــدالله بــن بهــادر الزركشي ت ٧٩٤ ، تحقيق: تيسير فائق أحمد محمود، مراجعــة عبدالستار أبو غدة، ط١، ١٤٢٠= ١٩٨٢م.

٥٦- الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ت ٧٩٠هـــ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حســن آل سلمان، ط دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧= ١٩٩٧م.

٥٧- النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب المــاوردي ت٤٥٠هـــ، دار الكتب العملية، بدون.